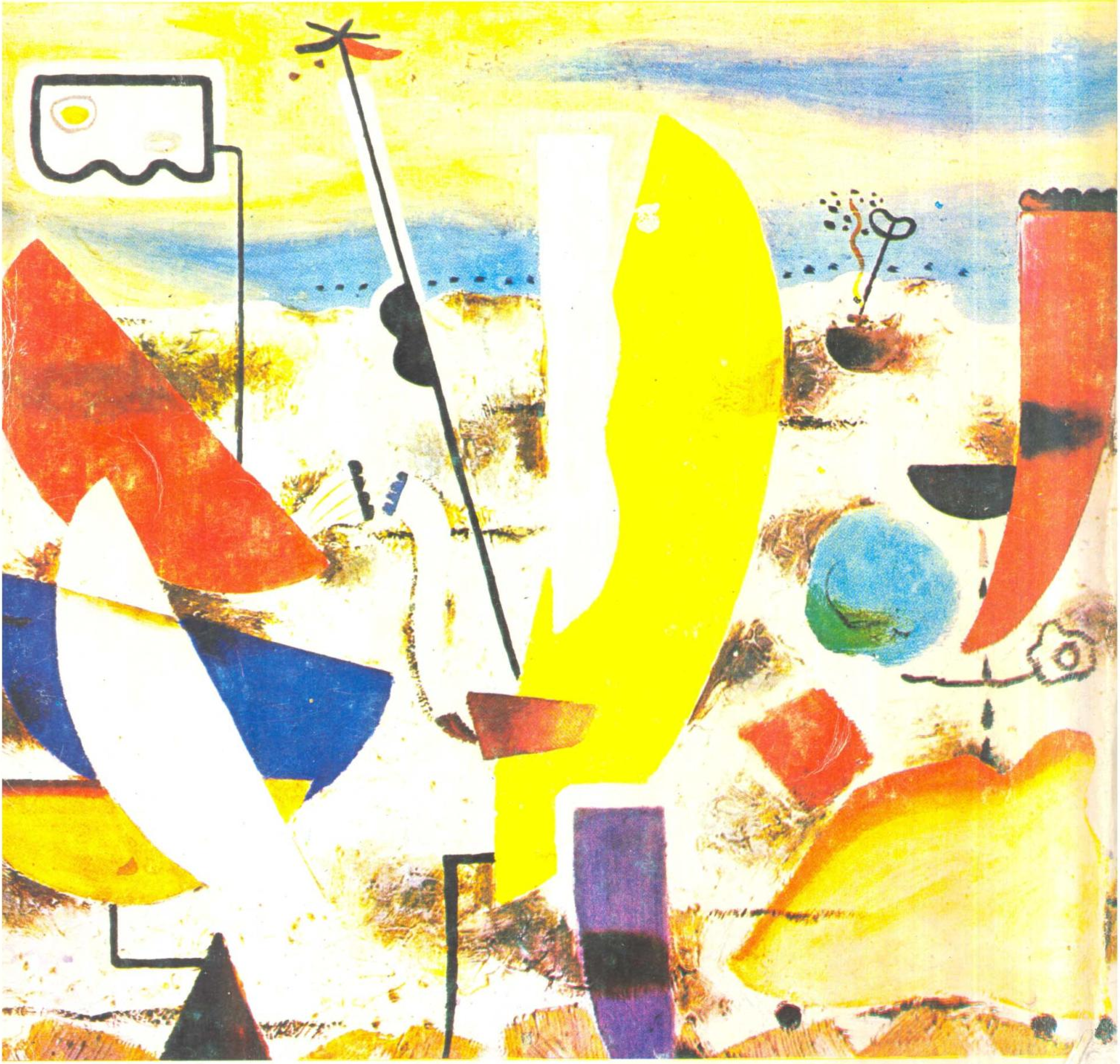
الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد ٣٧ السنة العاشرة - خريف ١٩٨٣



قطوف من الشعر العالمي المعاصر

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد ٣٧ السنة العاشرة - خريف ١٩٨٣

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

« الآداب الاجنبية »

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة اشهر تعنى بنشر المواد المترجمة من الادب العالمي في مجالات الشعر والقصة والمسرحية وغيرها من صنوف الادب الابداعي وكذلك في مجالات النقد والبحث الادبي.

* توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .

* يرجى من الاساتذة الذين يرسلون مواد مترجمة بغية النشر في المجلة ان يرفقوها بالاصل الاجنبي وان يذكروا المرجع بوضوح .

* يرجى من الاساتذة المترجمين عدم التصرف في النصوص والعناية بصحة العبارة العربية .

* المواد التي تتلقاها المجلة لا ترد لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية السورية :
- للافراد والدوائر الرسمية ٢٤ ل . س

في البلاد العربية :
- البريد العادي ٣٦ ل . س

في البلاد الاجنبية :
- البريد العادي ٦٠ ل . س

تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي .

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الادارة

اتحاد الكتاب العرب

دمشق ـ اوتستراد المزة

ص . ب ٣٢٣

هاتف ٨١٦٢٩٩

= ٨١٦٣٢٩

الخطوط : محمد قنوع

المحتوى

كلمة التحرير

من يتابع المناقشات ، المكتوبة والمنطوقة ، المتعلقة بالشعر الحديث في بلادنا العربية يخيل إليه ، لكثرة مايصاحب هذه المناقشات من توتر وانفعال ، أنه لم يعد للعرب من قضايا في العصر الحاضر يتخاصمون بشأنها سوى هذه القضية ، ويتذكر – ربما – كلمة الشاعر العربي القديم ذات المغزى البعيد :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وليس يتضمن هذا القول أية نية للاستخفاف بقضية الشعر ، ولا سيما قضية الشعر العربي الذي كان دائماً ديوان العرب ومفخرة النسب وحامل لواء القيم وموثب الهمم وباني الأمجاد ومطفىء لواعج الأكباد .

ولكن الذي يستغربه المرء هو هذه الحدة التي تتصف بها كل المداولات المتعلقة بالشعر الحديث والشعر القديم ، وما يرافق ذلك من خصومة ومجادلة حامية وتقاذف للتهم وتمسك بالحد الأقصى من التطرف ، كأن القضية قضية صراع بين الإيمان والكفر أو بين الإخلاص واللاإخلاص أو بين الوطنية والخيانة . وينتج عن ذلك بالطبع ظاهرة (الإلغائية) ، فكل طرف يلغي الآخر تماماً ، ولا يصفه بالضعف أو السوء أو الركاكة ، فتلك صفات يمكن أن تجعل من الموصوف شعراً يستحق أن يوصف ، وإنما أسهل كلمة في هذا المجال هي أن « هذا الكلام ليس بشعر » . هكذا يقول المحافظون في الشعر الحديث (المتمرد على القافية والوزن) ، وهكذا يقول المجددون في الشعر المقفى الموزون الذي ينظمه المحافظون .

وبالطبع ليست المسألة مسألة شعر مقفى أو غير مقفى ، ولكنها مسألة منهج في الفن وموقف من الحياة ، أو هي كذلك في الأساس ، ولكنها اختلطت بملابسات ايديولوجية واجتماعية وذاتية ، حتى اختلطت الأمور ، وطغى غبار المعركة على تفصيلاتها ، وبدا كما لو أن المسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة لكل طرف ، ولكن في سبيل ماذا !

وكما هو الشأن في منازعات الدول والأفراد يخرج عقلاء يعملون على حل المسائل ببساطة وحسن نية أحياناً ، وبعملية إلغاء كامل لجوهر المعركة أحياناً أخرى ؛ ومعظمهم ينتهي إلى القول بأن المهم هو أن يكون الشعر جيداً ، سواء أكان قديماً أم حديثاً . وليس في هذا القول من ضير بل يبدو أنه يحمل الحل الصحيح وإن كان ينقصه سلم شريقي أساسي جداً هو

رئيس التحرير

الاتفاق على معيار الجودة ، ذلك أن الأصل التاريخي للخلاف يكمن في الافتراق حول هذه النقطة بالذات ، نقطة التذوق والتقييم .

ومن الواضح أنه ليس في مقدور إنسان أو مؤسسة أو ندوة أو حوار بعينه أن يصل بالناس إلى الحل المنشود ، ولكن يبدو أنه من واجب كل فرد وكل جهة الاسهام في توضيح طبيعة المعركة تمهيداً لشق الطريق أمام المعادلة أو التركيب المنشود .

وفي هذا الصدد تحمل « الآداب الأجنبية » مقترحين منبثقين من خطتها ومنهجها الذي تلتزم به وهما :

أولا : الإصرار على عدم عزلة معركة الشعر العربي بين القديم والحديث عن تطورات التجربة الفنية والموقفية للشعر في العالم المعاصر ؛ لأن المقارنة ووضع التجارب في إطارها الأوسع كفيلان بإبعاد المرء عن كثير من الاستنتاجات الخاطئة .

ثانياً : تخفيف توتر العراك عن طريق توفير جو من الـ (التعايش السلمي) بين النماذج الشعرية المعاصرة ، لأن التعايش نفسه يظهر لأي إنسان متجرد مدى ماوصل إليه هذا العراك من تطرف وتنابذ لا تقتضيهما طبيعة الصراع .

وهكذا تأمل « الآداب الأجنبية » في العدد الحالي ، الذي هو مجرد « قطاف من الشعر العالمي المعاصر » ، أن تقدم نسائم متنوعة السرعة والرطوبة والأريج من شأنها أن تسهم في وضع القارىء في جو الشعر الحديث في العالم شرقاً وغرباً .

ولعل من الضروري أن نوضح هنا أنه جرى بعض التركيز على كل من الأدب البولوني والأدب الصيني لأن ظروف المجلة لم تسمح لها في الماضي أن توليهما الاهتمام اللائق . كما أنه جرى إغفال كامل للشعر الافريقي لأن المجلة تطمح أن تقدم للقارىء عدداً خاصاً عن الأدب الافريقي في مطلع العام القادم ١٩٨٤ . وبالجملة ، جرى اختيار المواد لا لتكون صورة مستقلة عن حالة الشعر المعاصر في العالم ، بل لتكون مجرد قطوف تكمل السياق العام لخط المجلة .

ومن هنا يرجى النظر إلى العدد الحالي في إطار الخط العريض للمجلة وفي إطار ماسبق أن قدمته إلى قرائها الأعزاء .

دراسات ومقالات

الشعر البولوني
من أول عصوره حتى اليوم
كزيسلاو ميلوسنز
ترجمة: عبد المعين الملوحي

الرّومانسيّة الحزينة
تزحف على الأدب المعاصر
فريدريك ميسترال
ترجمة: خليل شطا

أثر اللغة العربيّة وثقافتها
في اللغة الإنكليزية واللغات الأوربيّة الأخرى
حبيب سلوم
ترجمة: أنس الجابي

الشعر البُولوني

من أول عُصوره حتى اليوم

كزيسلاو ميلوسز ترجمة : عبد المعين الملوحي

عن الفرنسية

الشعر البولوني يكاد يكون مجهولاً كل الجهل في فرنسا ، وماهو أسوأ من الجهل به أن ترجماته التي يرجع أغلبها الى القرن الأخير ، غرست في الأذهان أقوالاً معادةمكرورة قليلة التشويق والجاذبية ، تذكر ميله البديعي الى تفخيم الألفاظ واعتباره صفة مميزة له . وقد يقع هذا الخطأ على عاتق أذواق المترجين الذين نشؤوا في بيئة ثقافية بلاغية معينة غير أنني أعتقد أن ذلك يرجع قبل كل شيء الى معرفتهم الضئيلة بالقوانين التي تنفرد بها كل لغة من اللغات ، فالشاعر الذي له قدرة تسمح له بتأدية الدقيقات اللونية المميزة للشعر الاسباني أو الانكليزي أو الالماني لايزال حتى اليوم ظاهرة استثنائية

وذلك صحيح بل أكثر صحة في المجال السلافي الذي يطل كأنه محاط بنوع من الجدار . ولنضف الى ذلك أن اللغة البولونية تعتبر حقاً أصعب اللغات السلافية على الاجنبي . وقد التزم صديقي كونستنتين جالنسكي جانب التعقل حين راعى هذه الظروف ، واحتذى مثال (لاديسلاس غارا) في ديوان « المختار من الشعر المجري » (١) ولما كان يرغب في أن يعطي صورة من الشعر البولوني منذ العصور الوسطى حتى اليوم ، فإنه حصل على مشاركة خمسين من الشعراء الفرنسين . قدم اليهم ترجمات حرفية مع جميع الايضاحات العروضية الضرورية . وأنا أعترف أنني حينما تكفل هذا العمل منذ بضع سنوات ، كنت أشك في حسن النتيجة ، ولكن كلما كان جسم العمل يتخلق وينمو ويتكامل كان شكي يتحول الى اعجاب بجودة هذه الترجمات الفرنسية الرائعة لقصائد كانت عندي مألوفة . وعلى هذا الشكل وبالإفادة من التراجم الموجودة ، فضلاً عن ذلك ، من قبل في حالة استجابتها لمتطلبات شعر حي ولد كتاب لا أتردد في أن أنعته بأنه أول ديوان مختارات فرنسي للشعر البولوني وهذا الرأي قد يبدو ظالماً بالنسبة الى بعض الترجمات الأقدم عهداً التي كانت تغذوها مطامح مماثلة ، ولكن يبدو لي أنه يجد مايبرره فيما تتصف به هذه المجموعات على الأرجح من خاصة عارضة ، ففي أغلب الاحيان كانت تقتصر على عهد واحد فلا تسمح سعتها المحدودة بالكشف عن تسلسل الأساليب وتتابعها .

وأنا أعتقد أن ديوان المختارات الأخير هذا يتخذ مثل ديوان مختارات الشعر المجري تماماً ، مغزى عميقاً في عصر تناقش فيه كثيراً وحدة العالم ، على حين أن معرفة الآداب الأجنبية لاتزال سطحية في كل مكان .

إن أحسن طريقة لكتابة مقدمة ما ، هي دون شك ، أن يغمر القارىء

---

(١) منشورات سوي ١٩٦٣ .

في سر أشجانـه الشخصيـة ، فإذا كانت البـولـونيـة صعبة على الغرباء فإنها بالنسبة الينا نحن البولونيين ، تجابهنا كذلك مثلهم بمقاومة عنيدة ، فهي لغة متفشيـة (١) تصـرّف بالأسنـان (٢) وتقودنا أحيانا إلى شفا الخيبة باجتماع حروفهـا الصـامتـة الصـافـرة وبنبرها الذي يقع دائماً على المقطع قبل الأخير فيقلل من إمكـانـات الايقـاع الـوزني العروضي وهو الخاصة التي شاركت في القـرن السـادس عشـر بتشكيـل نمـوذج من الأشعـار التي كانت هي مقطعية بصورة صرفة .

فعـلى أن هذه الـلغـة غنيـة غنىً فوق المألـوف بكلمات تعـبر عن الانطبـاعـات الحسيـة (فمثـلا يوجد لكلمتي « ضجَّة » و« نور » في البولونية عدد كبير من الكلمات التي يبدو لي أن دقيقاتها التكوينية المميزة لا تترجم) كما هي غنيـة باسـماء أنـواع الحيوان والنبات التي تخلد ذكرى التماسّات الأولى مع الطبيعـة ، فإنهـا ثقيلة وخـرقـاء حين ينبغي لها أن تعـبر عن المعاني المجردة . بحيث أنهـا لاتنقـل مطلقا المضامين الفلسفية إلا إذا جعلتك بصورة ماتلمس الأشياء بالأصبع

وهي لغـة سلافيـة ، ولكنهـا إلى ذلـك مكيفـة بحسب الـتركيب الـلاتيني . وقـد امتصت خلال تاريخهـا كلمات أجنبيـة لاتحصى تعبر مخلفاتها المتتـابعـة عن السحر الذي سحرتها بها عادات الأصدقاء أو الأعداء . وهكذا جلب (التَطَلينُ) (٣) في القـرن السـادس عشـر من (يادو) و(بولوني) في

(١) الصـوت المتفشي : صوت احتكـاكي حنكي يتكـون بين وسـط اللسان ووسط الحنك الأعلى ويتميز حين النطق به بتجويف رنان بين اللسـان وجانبي الفم . مثال ذلك الشين والجيم في نطق أهل الشام : (من مصطلحات مجمع القاهرة اللغوي

(٢) صرَّف بأسنانه : صرَّ بها . ضغط ببعضها على بعض حتى يسمع صوتها المسمى « صريفاً »

(٣) التأثر بالايطاليين . ومثله الطلينة .

وقت واحد بعض الأطعمة والكلمات التي تدل عليها وتعابير شعرية وعناصر لغوية تدل على اللباقة . وكذلك فإن الحروب ضد تركيا طوال القرن السابع عشر تركت في بولونيا راسباً قابلاً للاستمرار ، تحت شكل تفاصيل في البزة العسكرية والمدنية مدلول عليها بكلمات تركية الأصل . أما اللاتينية وهي سمة الامتياز الاجتماعي خلال عصور فقد استعملت استعمالا مباشرا ذا شأن في النثر والشعر على حد سواء . وهذا ماأفسح مكاناً للأدب المسمى « بالمعكروني »(١) الذي يتجنب الافراط بالتدقيق اللغوي.، ولكنه بالمقابل يترك المجال لغير المألوف حتى يعبر عن نفسه بانطلاق . ان حرية التركيب والنحو في اللغة البولونية تثير الحيرة ، فالجملة يمكن أن تبدأ وأن تنتهي بالمحمول (المسند أو المحكوم) وكل اسم تقريباً يمكن أن يولد فعلاً . (حاول مثلاً ، في اللغة الفرنسية أن تشكل فعلاً ابتداء من الكلمات (شجرة) أو (مخزن المؤن والحبوب) أو (ربيع) أو (بلوطة) وعدد غزير من زيادات النهاية يسمح بأن يدُل بكلمة واحدة على الفعل الذي يكاد يكون قد بدأ ، أو على الفعل في خلال التنفيذ أو على الفعل بعيد انتهائه .

هذه الحرية وهذا الفيض هما دعوة الى ماهو غير مألوف وهما يجعلان الحاجز الذي يفصل الخرق عن الإجادة مائعاً . وهكذا أوغل كتاب عديدون أولو شأن في طرق تنتهي بدروب مسدودة . على حين أن كتاباً من المرتبة الثانية كانوا على نقيضهم يعوضون عن نقصهم بغريزة التمكن بصورة خاصة من اللغة . ومع أن (فيرجيل) و (هوراس) كانا خلال عصور في أساس العلوم الأدبية ، ومع أن (الفن الشعري) (لبوالو) كثيراً ماأخذ بعد ذلك مأخذ الجد ، فإن ذلك لم يغير شيئاً من طبيعة البولوني العميقة التي تطوي القواعد والتي يجب على كل شاعر في شكل ما وفي كل لحظة أن (يروضها)

(١) مايختص بالقصائد المحشوة بألفاظ لاتينية وهي من : Macaron وهو مايسمى بالعربية اللوزينج .

وليس من شيء أكثر دلالة في هذا المجال من الترجمة الجميلة جداً (للسِّيد) (لكورني) التي لم يظهر لها ند حتى اليوم والتي يرجع الفضل فيها إلى الشاعر (أندرزج مورسترتين) وقد مثلت أول مرة في فرساي سنة ١٦٦١ . وهي تمتاز بتعابير قوية تتصف غالباً بالحزم أو المرح وتعطي للمسبرحية حساسية ملونة وخشونة وقساوة شعر الدواوين الرومانسيرية (١) إن مسرحية السيد البولونية هذه هي على التأكيد أقرب الى (غوتييه دوكاسترو) منها إلى (كورنيي)

إن البولوني غريب عن الفكر الفرنسي بكل ماضيه ، ولكن في هذه الحال ، أليست محاولة أن يوضع في خواص اللغة الفرنسية الصوتية شعر بعيد عنها جداً ، واجباً مستحيل الأداء وعديم الجدوى ؟ يجب على القارىء أن يقبل بصورة لا يمكن تجنبها بوجود فارق كبير بين الأصل والمطابقة وأن يرتضي بصورة خاصة وجود (نظام) فرنسي هناك حين يتعلق الأمر ، على الأصح في اللغة البولونية بقرقرة هرٍّ أو بهمهمة دُبٍّ يزدرد أحد هذه الأطباق التي كنا قديماً لها مُرمين ، حساء بالجعة الساخنة في غار صاحب خان ، بينما الثلج يتساقط خارجاً .

خذ مثلاً بعض الفطن الرقيقة الشعرية الغزلية (٢) DES MADRIGAUX حيث الغرام المريض يحتل محلاً أقل من المحبة القلبية الطفلية ، وحيث تتغير نبرتها في اللغة الفرنسية ببساطة لأن من المستحيل أن

---

(١) دواوين من الشعر الاسباني تضم قصائد من مقطوعات بحرها ثماني المقاطع وموضوعاتها تدور حول البطولة وهي ذات طابع مؤثر .

(٢) هذه الكلمة الفرنسية مفردها Madrigal ومعناها فكرة لطيفة ناعمة رقيقة يحتويها عدد قليل من الابيات ومثالها شعر فولتير التالي : بومبادور ريشتك المقدسة يجب أن تكون صورت وجهك فإن لم توجد منذ الأزل يد أجمل لتصور أجمل من هذه الصورة الرائعة .

يترجم ، ولـو بصـورة تقـريبيـة أسـماء التصغير التي تكوّن جمالها . وخذ مثلاً كذلك هذه التجارب المفرطة في العبادة المتصوفة التي تؤديها في اللغة البولونية ألـوان وأصـوات تعطي للأشيـاء كيـانـاً ماديـاً ، على حين تكتسي في اللغـة الفـرنسيـة وضـوحـاً خداعاً ، وينوب التجريد فيها مناب الصورة . ان أمثال هذه النماذج التي تخون فيها المؤلف قدرته على الترجمة الامينة المطابقة لاترهق في الحـالـة التي نحن فيهـا الكتّـاب الفـرنسيـين لهذا الديوان من المختارات ، (وإن كنت أود لسـوء الحـظ لو أستطيـع القـول بذلك) وهي تمثل كما يبدو لي النسبة المئوية التي لايمكن تجنبها من الخسارة الناتجة عن دور اللغات المختلفة جداً في نموها الخاص .

إن صعـوبـات أخرى تنتظرنا في مواجهة هذا الهذيان الذي يطرد الشعر البـولـوني من الأصـول المتبعـة على ضفـاف السين أو الرين دون أن يقربه في مقابل ذلك من الشعر الروسي مطلقاً . وكلما زدت في تساؤ لي عن هذه النقطة رأيت مشـاهـد لاتـزال حتى الآن متروكـة في الظـل ، وينبغي لنـا أن نعرفها بسـرعـة - وإذاً بشكـل سطحي - وربـما ستتاح من خلالها رؤ ية أكثر وضوحاً لأصالة أدبية بولونية فيما يشكل القسم الذي هو على الدقة غير قابل للترجمة .

نحن ميالون في مسيراتنا الشرقية الى التفكير بأن أوربا الغربية لاتحب إلا نفسهـا وأنهـا علاوة على ذلـك لاتتـذوق الا مافيـه غرابـة من الإنتـاج الأجنبي . ولكن الشعـر البـولوني هوكالأشعار الغربية تماماً ينقسم إلى أقسام معقـولـة أطلق عليهـا عنـاوين العصـور الـوسطى النهضـة ، غير المألـوف ، المدرسيـة ، الإبـداعية ، الرمزية . . . الخ فإلى أي شيء فيه غرابة نستطيع أن ننتسب إذاً ؟ إنه هنا يظهر الشك - نتيجة لعادات قد تأصلت بقوة - بأن

كل شيء على سطح الثقافة الأوربية لم يكن قط إلا انعكاساً لظواهر طبيعية تظهر في المركز ، فما هي حقيقة الأمر إذاً ؟

تحت طابع إيزوب وجان هوسّ

لننظر أولاً في العصور الوسطى البولونية التي تصعب الاحاطة بها ! . كانت اللاتينية قد نالت الظفر في ميدان الثقافة بسبب اهتداء بولونيا الى الكاثولوكية الرومانية ، وخنقت العنصر السلافي فيها بحيث أنه حتى عهد الإصلاح لم يكن أي شمّاس حق على الاطلاق يتنازل تقريباً الى أن يكتب في لغته الوطنية . إن التقليد الشعبي وهو ذو غنى ملحوظ كان يجد نفسه مداناً لأنه وثني ، فهو إذاً مجرم . وكانت الأيمان والأغاني الدينية في اللغة الشعبية تبقى في الصعيد الشفوي . وهكذا لم تحتفظ تقريباً بشيء من الانتاج الأدبي البولوني النوع قبل القرن الخامس عشر . لقد سيطرت اللاتينية خلال زمن طويل على الشعر والنثر اللذين اقتصرا تبعاً لذلك على الإفادة من الأفكار والنظرات الأدبية المشتركة بين جميع معتنقي المذهب المسيحي الغربي . كانت هذه حالة الشعراء والأدباء الأوائل الذين كانوا على العموم يقومون بدراساتهم في الجامعات الايطالية التي كانوا يعودون منها مشبعين بفكرة (كواتروسنتو) ومع ذلك فإن أحدهم بصورة خاصة جداً وهو (كليملس جانيكي) (١٥١٦ - ١٥٤٣) فتن خيالي حين كنت طالباً في الكلية لأنه من خلال لاتينية مراثيه يتمخض بصوت شكوى شعبية مؤثرة وبلهجتها كان ابن فلاحين ، وقد حملت نجاحاته الفجائية بعض حماة الأدب على رعايته والتنبه اليه ، فأرسلوه الى بادو حيث أصبح شاعراً سباقاً ، ولكن موته المبكر وضع حداً لأحلامه في المجد .

ثم أخذت اللغة البولونية تدخل قليلاً قليلاً في الأغاني والمشاهد الدينية الشعبيـة الطابـع . وهكـذا نرى ان (شكـوى العـذراء على قدم الصليب الجميلة جداً) هي بالتأكيـد شكـوى نائحـة صادرة عن سر مختف . كانت بولونيا تقية « على أن من الملائم أن ننظر من مكان أقرب إلى اخلاصها المثالي للفـاتيكـان . فإن اتجاه طبقـة الشعب المنـاهض للكنيسـة الذي كان واضح الشـدة خلال القـرن الخـامس عشر كله ، والذي نشره أنصار (جان هوس) الذي كان تعليمه يشع منذ عهد (بوهيميا) القريب جداً ، كان يعطي بولونيا في الـرأي الكـاثـوليكي شهرة بلد تأثر بالإلحاد تأثراً خطراً . وهذه الخميرة من المعـارضـة (الـبر وتستـانتية) قبل الحرف مهدت السبيل الى توسع الأدب في اللغـة العـاميـة . لقد كانت الكنيسة تحطم بأكبر عناية الكتابات الإلحادية ، ولكن بعضهـا كان ينجو من حراستها . وهكذا وصلت إلينا أغنية (لغالكادو دو بكـزين) الأستـاذ في جامعة (كراكوفيا) تمجد (ويلكليف) مبشر (أتباع هوس) الانكليـزي . وإن الأثـر الفني (لبيـرنـات دولـوبـلان المولود حوالي ١٤٤٥ والمتوفى بعد ١٥٢٩) يعمل بإلهام مماثل فإن (الإيزوب) الذي تخيله فكراً عاقلاً في جسم قزم منفر ، يهزأ بالسلطات الروحية العلمانية ويحمل على التفكير قليلاً بأشخاص (رابوليه)

جاء (لوثـر) و (كالفـان) بعـد جان هوس ، وقـد كانت بولـونيـا في حماستها لتمثل مذهب العلوم والآداب الانسانية في عصر النهضة وللتعليم في حركة الاصلاح ، استثناء بين البلاد السلافية . فقد كان يشاهد فيها كما هي الحال في كل مكان في أوربا الغربية تلاقي عدة حالات فكرية تتصل بالتيارات الثقـافيـة المختلفـة . أما راسب القرون الوسطى فمن يدري أنه لم يكن عظيماً بحيث أن الحكم والمحـاورات الهجـائية والفواصل المضحكة التي تشهد على دوامه لم تكن كذلـك ، على درجـة سواء ، أصـلاً لهذا الطـوفـان من (غير

المألـوف) الـذي كان يتهيأ والـذي سيغمـر قريبا كل شيء ؟ وهكذا نرى من الصعب جداً أن نصنف (أبا الأدب البولوني) (نيكولاج ريج) البر وتسنانتي الذي تشهد آثاره الواسعة في النثر وفي الشعر على اخلاص رجل الأخلاق . ولكنها في الـوقت نفسـه على درجـة مساوية من العربدة والشراهة والثرثرة ، والاصرار على الخطأ وشتم الدين في أقوال خصومه البابويين ، وهذه الصورة يجب دون شك أن يعاد فيها النظر بجد لاعطائها اللمسة الأخيرة نظراً لحمية الجـدليـين ، ولكن من المؤكد أن هذا الرجل الجبلي الجلف العصامي التعليم أكثـر تمثيلاً لرجـال الاصـلاح - المضاد المفتـونـين بأنفسهم ، الصـاخبـين الـدهمائيـين ، منـه لجيل البر وتستانتيين المتزمتين ، فإن حبه للذات الجسدية والـذوق الـذي يظهـره في مؤلفاته للذات الحياة الحقلية الدسمة ، ليسا على الضبط من الخصائص الانجيلية ، ولكنه بهذا الجمع بين المتناقضات ينتسب إلى عصـر النهضـة ، وإن حرصـه على خيرات هذه الـدنيا (فهو مدير أعمال بارع ، عرف إلى حد الكمال كيف ينمي ثروتـه) لم يكن يشكـل مطلقاً قيداً لميله الى الأعمال الأدبية ، وإن أدبه الذي هو في الغالب أدب القرون الوسطى من حيث اختيـار الصـور التي تعـبر عنـه ، يؤثـر في جميـع أحـوالـه مرتكزات العقـل ، ولكن مجده يرجـع على الأكثر إلى غنى لغته المحسوسة غير المتوقعة الشهـويـة . وإن ترجمة (غارغانتوا) و (بانتا غرويل) الفخمة التي قام بها في بداية هذا القرن (تادوز بوي - زيلنسكي) إنما استلهمت لغة (ريج)

جان كوشانفسكي والجمهورية

لنقل على قدر طاقتنا في إجراء الأقيسة إن (ريج) يقابل بشكل ما (انكلترا السعيـدة)القـديمـة . إن أخـلافه يشبهونه شبهاً قليلا جداً بحيث أن كمالهم

الشكلي يبقى لغزاً . إن (جان كوشانوسكي) (١٥٣٠ - ١٥٨٤) هو دون جدال أكبر شاعر في العالم السلافي حتى القرن التاسع عشر . وإن أنموذجه ليدلنا على أن إيضاحات (البيئة الثقافية ، التي هي جد سهلة لتكون صحيحة . فإن كوشانوسكي إذا كان يعكس شيئاً ماحقاً فإنما يعكس القديم اليوناني اللاتيني كجميع أوروبا في ذلك العهد كان شعره المقطعي يخيل إليه أنه ينافس شعر هوراس الثماني . ولقد بولن أبولون وآلهة الشعر وأعطى إلى الآلهات وجوه الفتيات القرويات ، وعمر مناظره المألوفة بالأهجيات متشكياً نائحاً ، كرونسار تماماً ، من دمار الغابات الكبيرة ولما كان أحد أشراف عصر النهضة ، فقد إكتسب من دراساته الطويلة في ايطاليا حيث كتب قصائد حب باللاتينية ، اهتماماً عارماً بالمشاجرات التي كان يضرمها فن الشعر الجديد ووقف نفسه في المسرح لخدمة الشعر الأبيض (فرسو سيولتو)

لقد قلنا إن البولونية لغة صعبة الترويض ، ولكن آثار كوشانووسكي الأدبية تدعو إلى تصحيح هذا التأكيد ، فإن اللغة تبلغ عنده حداً من الموازنة (المدرسية) لم تتوصل إليه مطلقاً من قبل ، ولن تجده الا نادراً بعد . فهذا الشاعر الذي يبدو أنه يهزأ بكتّاب سيرة حياته المستقلين هو إذاً لدينا صنو (رونسار) لدى الفرنسيين . ومع ذلك فإن كآبة (كوشانووسكي) التي لم يشقها أيُّ (اغتنم يومك الحاضر) تبدو لنا أقل صلة بالأدب وإذاً أكثر واقعية ربما كانت المسألة مسألة مفردات لأن كوشانوسكي لم يروض اللغة على قواعد بحيث يرفع منها كل طعم من أرض الحراثة . إنه ، بصفة عامة ، خضع بكل حرية ، إذا صح لنا هذا القول ، إلى قواعد الشعر في عصر النهضة . وقد تبنى في شكاواه من موت ابنته (أورسول) شكل رثاء العظماء الذي وضع أصوله (سكاليجر) ولكننا نرى أنه بدلاً من أن يزاول الأسلوب الذي كان يمكن انتظاره يقدم عملاً جد شخصي ، وذلك بسبب الشدة التي تلتزم في

تطبيق هذا المبدأ الذي يختص عظماء هذه الدنيا بهذا اللون من الشعر على حين أن المتوفاه فتاة بسيطة نكرة إن كثيرين من معاصري كوشانوسكي قد حملوا عليه لأنه وضع هكذا في حالة عُري - وفي هذه المرة الوحيدة أيضاً - ألمه الشخصي . ولكن العمل الفني القمة يحترم المواضعة الأدبية ويحطمها في وقت واحد ، وتلك كانت حالة هذه القصائد .

لقد حقق الاصلاح ، منذ كان كوشانو سكي حياً مراحل سريعة من التقدم وتوصل البروتستانتيون (وأغلبهم من الكالفانيين) في وقت ما - إلى أن يربحوا الأكثرية في مجلس الدولة (الدييت) . ولم يعتقد كوشانوسكي العقيدة الجديدة ، على النقيض من نيكولاج ريج . ويمكن أن يعتبر ، لاعتداله المطبوع على الميل إلى الشك ، ولتسامحه ولمثله الأعلى في (البيئة العادلة) شاعر الجميع ، وفضلاً عن ذلك فقد كانت ترجمته لزُبر داود موضع التقدير من الكاثوليك والبروتستانت في وقت واحد . وإذا رغب في تصنيفه فيمكن أن يقال دون شك بأنه ينتسب إلى أسرة الأفكار التي كان يعتبر « لايراسم » لديها حينئذ أكبر نفوذ فكري . فلما كان رجال هذه الأسرة قليلي الرضا بالحالة في حضن الكنيسة الرومانية ، وغير متحمسين مطلقاً لجنيف كالفان ، فإنهم قد اقتصروا على أن يراوغوا يمنة ويسرة بين هؤلاء وأولئك . إن النهضة تحمل دون جدال طابع المطالبة بحقوق الفرد ، ولكن الشعر البولوني في هذا العصر يشهد أيضاً على ميل مناقض بصورة مطلقة ، وسيزداد دقة ووضوحاً فيما بعد : إنه هضم الفرد في المدينة حيث كل شيء يعود كما هي الحال لدى المؤلفين اللاتين المعجب بهم جداً ، إلى الواجبات المدنية . سيكفي بهذه المناسبة ، دون أن نذكر هنا شعراء صغاراً لا يحصون عددا قد انصرفوا الى الشعر الهجائي ، أن نذكر برد « الرسل اليونانيين » لكوشانو سكي وهي مأساة شعرية يمكن أن يكون عنوانها المضمر (حرب

طروادة واقعة لامحالة) : ان البطل الحقيقي في هذه المسرحية ليس فرداً : « انه ليس (هيلين) ولا (باريز) ولا (هكتور) ولا (بريام) ولكنه مملكة طروادة في برهة هي فيها مهددة بالفناء ، ان الرجال الذين انزلوا العقاب بطروادة يبدو أنهم خرجوا عارمين بالحياة من مجلس الدولة البولوني . ان غوغائيتهم أدت الى رفض اعادة « هيلين » الى اليونانيين . وان كاسًا ندر وهو غارق في الدموع ، هو الذي تولىً جميع عمل النهاية . ويمكن ان يكتشف في هذه المأساة التنبؤ المبكر بخطر يهدد أقوى دول هذا القطاع من اور با ، وهو جمهورية بولونيا وليتوانيا الملتحمتين باتحاد شخصي ، كما يكتشف على مستوى مماثل اتجاه الشعراء المستقبلين المتجندين بحماسة بالغة في خدمة القضايا العامة .

ومنذ أن يمس الشعر البولوني مهما كان المس رفيقاً ، فلا يمكن أن يتجنب الكلام في التاريخ ، وذلك مدعاة للأسف الشديد ، لأن تاريخ بولونيا المختلط الى درجة فوق الاعتيادية يفر من كل هذه القوانين التي تجعل الاشياء واضحة جداً في السطح . ويمكن أن يقال بأن بولونيا تتبع مجرى التاريخ الاوروبي ، ولكن بشكل معكوس في اكثر من مرة على الضبط : فان التساهل الديني هيأ فيها النصر للإصلاح المضاد (وذلك على الخصوص بسبب انقسام البر وتستانتية الى كنيستين ، كالفانية وضد الثالوث اللتين تقاتلتا قتالاً ضاريا) ، ان سلطة الملوك المنتخبين آلت الى أن تنكمش الى مجرد حمل اللقب ، على حين أن العرش كان يخضع فيما عداه للسلطة المطلقة ، فإن مجلس النواب الذي أصبح ملكاً لطبقة هي طبقة النبلاء ، صار يجرد المدن والأرياف من حقوقها ، وانتهت كتلة من الناخبين الفقراء ولكن المتخمين بانتسابهم الاسمي الى طبقة النبلاء ، الى أن تبيع أصواتها الى الاقوياء ، اما التعليم الذي كان على مستوى مرتفع جداً في القرن السادس عشر فقد أخذ يزداد هوناً أكثر فأكثر خلال المئة التالية من السنين .

من « غير المألوف » الى عهد الأنوار

هذا القرن السادس عشر « قرن الثقافة الذهبي » الذي يمثله جوهريا (كوشانووسكي) وشاعر ماوراء الطبيعة (سيب شرارزنيسكي) (١٥٥٠ - ١٥٨١) و (سزيمون سريمونوويكز) (١٥٥٨ - ١٦٢٩) الشاعر الرعوي الواقعي في وقت واحد،هو قرن مناقض بصورة عامة في المخطوطات الأدبية للحلقات « غير المألوفة » في سلسلة القرن السابع عشر ، سمحت بتفتح هذا النوع الخاص جداً من الحساسية الذي سيغمر على عدة دفعات الأدب البولوني سواء أأريد منها ذلك أم لم يُرَد . إنني آبى أن أعرّفه ، أو بالأولى أرغب بأن يعرف هو نفسه بدءاً من بعض هذه العناصر الجوهرية : الكاثوليكية المسرحية المتعصبة للإصلاح المضاد ، الأبيض والذهبي لهذه الكنائس التي لايزال « غير المألوف » الايطالي الذي زرعه اليسوعيون في بلدنا باقياً فيه حتى أيامنا الى وراء (الدينير) وحتى حوالي (بولوتسك) و (فيتبسك) ، ذكرى الدولة الشاسعة التي تختفي اليوم حيث تتصاقب لغات وأنواع من الاعتراف مختلفة ، الغرام بالابهة ، والجواهر الثمنية والأقمشة الخلابة الألوان ، والثياب الزاهية التي هي شرقية أكثر منها أور بية استعمال تأثيرات من الضوء والفانوس السحري وردود الفعل الدهمائية في المسرح عدم الثقة الغريزي بكل شخص يتميز بذكائه وثقافته ، تعلق مخلص بلذاذات السلام التي يؤكدها التعبير القليل الحماسة الذي يعبر عن الحرب - « بضرورة » كما يقال - ولكن معارك لاتنتهي تخرب البلد،العقيدة بالانتماء الى الشعب المختار ، شعب الحرية الذي يتحالف ضده الجيران ، العبيد التعساء للملوك الطغاة ، دور السور المانع المسيحي المتحمل أعباء الدفاع بحماسة ضد كفرة الباب العثماني ، وموسكو البر برية الأرثوذكسية والسويد الخارجية المارقة .

وما أكثر المتناقضات ! إن المؤلفات الفلسفية التي وضعها أعداء الثالوث المقدس ، منكرو الثالوث - الذين اتهموا في زمن متأخر بالتآمر مع السويديين على خيانة أبناء وطنهم ونفوا لهذا السبب - كانت تعتبر أكثر المؤلفات جرأة في أوربا (وكان جون لوك يستورد منها هوامش الحواشي) ولكن كتلة الجبليين الصغار الأجلاف ، لم يكن لها ماتقرؤه غير التقاويم السنوية . كانت الحاشية شرهة الى الأوبرا الايطالية وكان يهرع الى الملهاة الفنية ، على حين أن المشاهد التمثيلية التي كان يعرضها اليسوعيون والتي تستهدف جماعة الشعب كانت تؤول الى تناول الأسرار والحكم مع ألسنة اللهيب وجهنم التي كانت تقلب الجماهير بواقعيتها عالياً سافلا ، وكانت تلد غنائية أخاذة الجمال تذكر بالشعر الانكليزي ، في مدن خربتها القوانين المعادية والعمليات العسكرية ، ولكن الأدب المعتبر جديا كان لايزال يقف نفسه على قصائد لاتنتهي من الفروسية مثقلة بأوصاف دقيقة فنية للمعارك .

لقد كشف لنا (جان اندرزج مورسزتين) ذوق جماعه الحاشية (١٦١٣ - ١٦٩٣) وهو أحد رؤساء « الحزب الفرنسي » والمعجب المنمق الذوق « بالكلمات اللامعة المصنوعة »[1] للشاعر الايطالي (ماريني) . وقد اشترك في عدد من مكائد السياسة والحكم وراء الكواليس فمنذ العهد الذي شغل فيه « هنري دوفالوا » باسم « هنري الثالث » عرش ملوك بولونيا وهذا « الحزب الفرنسي » يتمتع بمزايا مالية . وكذلك فان ترجمة « السيد » كانت ببعض الاعتبارات بالنسبة الى مورسزتين ، عملاً سياسياً (وكان على ابن أخيه أن يترجم « أندروماك » لراسين وكان يحب « الاسترية » « الاونوريه

(١) ضرب لها معجم لاروس العمومي مثلين : احدهما على لسان شخص يتحدث عن خنجر قتل به صاحبه « لقد احمر منه ذلك الخائن » والثاني عن « راسين » يتحدث على لسان « بيروس » بمناسبة حبه : « محترق بنيران أكثر مما أججت » والمثل الأول فيه تشخيص وحسن وتعليل ، والثاني فيه استعارة مركبة .

دور فيه » ولكن المأساة الفرنسية باقتصاد وسائلها القاسي ، لم تكد تجد في بولونيا الشروط التي كانت تسمح لها بالتأقلم . وقد جرت محاولة التطعيم ولكن دون نجاح . وقد خاب مورسزتين على الوتيرة نفسها في لعبه للوصول الى السلطة ، فانسحب غب الخيبة الى باريس حيث توفي تحت اسم الكونت « شاتوفيلان »

ان الغنائية البورجوازية التي يعاد اكتشافها قليلا قليلاً ، كل يوم ، كانت تقريباً عديمة الاسم بصورة دائمة ، وعلى أنها كانت تتفتح في المدن فقد كانت تستخدم التقاليد الفنية الشعبية - ولم تكن تقتصر على التقليد الشعبي البولوني ، بل كانت تستعير بجسارة من التقليد الشعبي الاوكراني بعض التعابير ، بل إنها كانت تقتبس مقاطع كاملة من القصائد . وكان سريمون زيمورورويك (١٦٠٨ - ١٦٢٩) أحد الشعراء النادرين البورجوازيين ذو الاسم المشهور ينتمي في أصله على الضبط الى لؤدد في الحدود اللغوية .

وعلى كل حال فإن نوعاً آخر من « غير المألوف » الريفي الراهبي القروي المحارب للتقدم والتعليم ، المترافق مع طبقات فظيعة من الطلاء (المينا) اللاتيني المنفر بثرثرته المبتذلة ، ولكن المحمس في مقابل ذلك بجرأة أفكاره التي لاتقيدها أي قاعدة ، فتلد حينئذ من ريشة الجنود والرهبان ترانيم مكتوبة في نثر موزون على شكل توراتي ، وكيلومترات من القوافي تتغنى بالبطولة ، ومقاطع ذات وزن وثاب تستمتع ، في حالة التذاذ جنسي بالعذاب ، بانتصار الموت الذي لايمكن دفعه . . وهذا كله كان يتداول في مخطوطات ولم يطبع أحيانا إلا بعد مئتي سنة .

نستطيع ان نفهم من ذلك لِمَ لَمْ يكن عند الأحفاد الوارثين طوال زمن

مديـد إلا احتقـار لهذا الوقت الموروث ، ان الشعب السرماتي (١) وهو متألم من فوضويته (المترسبة كطبقة طلاء (مينا) مع استنباطه كل ألوان الكبرياء من هذه الفـوضـويـة ، كان قد هجـر الخـط الـذي كان يقدمه اليه التاريخ في القـرن السـابع عشر : فقد سكن ، على النقيض من منافسته موسكو ، التي كان قد ظفـر عليهـا بتفـوق هائـل حتى ذلـك الـوقت ، ولكنهـا نمّت قوتهـا بسـرعـة . ان العـار الـذي يرتبـط بهذا العهـد من الانحطـاط قد تفجر على الكتـاب بين سنـة ١٧٠٠ وسنـة ١٧٥٠ فقـد كانت الفـوضى ومحاربة التعليم والتقـدم في هذا العهـد أسـوأ من كل عهد مضى وكانت بولونيا فيه تشبه شبهاً كافياً مكان التيه المضيع الذي يمتد فيه نفوذ الملك اوبو في المسرحية المسماة بهذا الاسم (٢) على حين أن سائـر أور بـا كان يغـلي بقـدرات فكـريـة شديدة النشاط . وحين أخذت بولونيا أخيراً نصيبها من الأنوار المشعة بدءاً من فرنسا فإن الماضي قد اقتطع ولم يبق منه مقبولا بعد ذلك إلا النور الوحيد لشعراء من نمـط « كوشـانـوسكي » ومن جهة أخرى فإن التيار الآخر تيار الغزارة الخاوية لايزال يجثم بوزنه فوق اللغة وهو ينتظر ساعته

تميز « الوجه الفرنسي » بتقليد «موليير » و« لافونتين » وكثرت المراكز المـاسـونيـة والنشـاط الأدبي لبعض الآبـاء المتأنقـين الكلفـين بفولتير . وهذه الكنـائسيـات كونت بسرعة قوة هامة في معسكر التقدم ، منتصبة ضد معسكر المحـافظـين باسم الاصـلاح السياسي وسلام الدولة . ولقد كان أكبر شعراء

(١) الشعب الذي يسكن غربي نهر الدون ويقصد به الشعب البولوني

(٢) مسرحية الملك أوبو « UBU ROI » عمل مسرحي ضخم قدمه الى مسرح العمل Theatre De L.Oeuvre سنة ١٨٩٦ « الفريد جاري » ومهما كانت هذه المسرحية متخلخلة ممتنعة فإن أنموذج الملك أوبو ، بقي رمزا للبورجوازية الأنانية الحمقاء

القرن الثامن عشر إيغناستي كراسيكي (١٧٣٥ - ١٨٠١) الذي لعب في الشعر البولوني دور بوب وأمثاله في الشعر الانكليزي كان مطراناً ، وكان معسكر التقدم يتوجه نحو الثورة . وكانت روسيا وبروسيا والنمسا قبل مدة وجيزة قد حطمت واقتسمت سنة ١٧٩٥ المملكة الضعيفة التي كان يرى فيها روسّو ، وربما بصورة خفيفة قليلاً ، المثل الأعلى للديموقراطية وذلك بحجة أن فارسوفيا كانت بعد باريس وكر اليعقوبية الأكثر خطراً في اوروُبا

الكلمة والعمل

ذلك كان عصر « بولونيا الشهيدة » وتلك كلمه معادة مكرورة يمقتها اليوم كل كاتب بولوني لأنها تذكر بالعطف على الوطنيات المجروحة ، مضائلة الى لا شيء الاستمرار الثقافي الذي يعطي إلى المؤمرات وإلى الثورات المتتابعة جميع معناها . نجد أنفسناأمام هذا الزعم الغريب : وهو أن الشعر البولوني ازدهر ازدهاراً جديداً على حين أن الوطن قد مُحي من خارطة أوروبا منذ زمن وجيز . وليس النضال الابداعي ضد الاعتداء هوماينـاسب أن نضعه هنا في المقدمة ، وإنما على العكس ، نضع اختزان القوى الحيوية في القرن الثامن عشر ، حينما لم يكن هنالك عدوان . إن رجال الأنوار لم يكونوا على مستوى تجنب الكارثة التي جعلت من هذا البلد ذي التقاليد القديمة جداً نوعاً من المقاطعة للدول المجاورة ، ولكن ماأخذوه على عاتقهم من أعمال هي على المدى البعيد سياسية ليس مطلقاً مطبوعاً بسمة اندحار . إنهم حين خلقوا ، سنة ١٧٧٣ أول وزارة تعليم عام في أوروبا ، وشبكة جديرة بالملاحظة والاعجاب

من المدارس ، قد جددوا أيضاً نظام تجنيد الكتاب ، فإن صناعة الكاتب من الآن فصاعداً ستكون مميزة بتربية كاملة كما حصل تماماً قبل قرنين آنفاً . وإنهم حين أشاعوا الكلمات ذات المستوى الديموقراطي صنفوا بولونيا في حزب الثورة الفرنسية ، وكانت المراكز الماسونية للضباط البولونيين الذين خدموا في الجيوش النابوليونية تنطلق تمتص الحركات الجديدة السياسية والأدبية . وحين جهدوا لترويض اللغة على نظام اللغة الفرنسية فإنهم قد كبحوا جماح الاستعمالات السيئة للغة ، وقد تصفى « غير المألوف » برد فعل التيار الآخر النشيط دائماً ، على يد شعراء عاطفيين ، هم اليوم أعزاء عليَّ أيضاً أمثال (فرانسيزك ديونيزي كنيازنين) (١٧٥٠ - ١٨٠٧) و (فرانسيسزك كاربنيسكي (١٧٤١ - ١٨٢٥)

إن موجة الابداعية انتشرت تقريباً في وقت واحد في جميع بلاد القارة الأوروبية ففي بولونيا كما في فرنسا حدث هذا حوالي ١٨٢٠ . إن الابداعية البولونية هي مع ذلك ظاهرة خاصة جداً ، بحيث أن هذا التعبير يتعرض الى خطر المغالطة في الحيز الذي يوحي فيه بموازنات مصاقبة جداً وغير مثمرة مع فيكتور هوغو ولامارتين أو ألفرد دوفيني فهذه الابداعية انبعثت من قرن الأنوار بالتحول ، وكانت تدين من حيث الفكر كثيرا لفرنسا ، فتستقي من فولتير وروسو في « المساكن الروحية » (وكان تأثير لويس كلود دوسان مارتان « الفيلسوف المجهول » هاماً جداً) ولكن بذرتها المركزية كانت الأسطورة النابوليونية . أما على الصعيد الأدبي فقد كانت منابعها بالمقابل مختلفة بصورة كلية ، ولكنها ليست بصورة صرفة جرمانية أو إنكليزية ، كما يمكن أن يفترض . على الرغم من ان

بيرون الـذي قاتـل في سبيـل الأستقـلال اليوناني كان هدف تمجيد خاص لدى الشعـراء ، وأنـه تقمص مثلهم الأعلى في الالتـزام .

وكـانت اللغـة بكـل بسـاطة قد توصلت الى نضج جديد ، فارتقى « آدم ميكيـويكـز ١٧٩٨ - ١٨٥٥) إلى المكـان الأول الـذي كان يشغله حتى ذلـك الـوقت كوشـانوسكي وهذا يدل على أن الفروق القديمة للغة كانت قد تجددت بقوة استثنائية . وكان ميكيويكز وهو طالب قد تلهى بترجمـة العـذراء لفـولتير ، ولكنه كان قبل كل شيء التلميـذ الأمـين لأسلافه البولونيين . إن نعت (الإبداعي) لايقبل التطبيق إلا بصعـوبـة بالنسبـة إلى خير آثـاره ، وعلى سبيـل المثال بالنسبـة الى قصته الشعرية (يان تادوسز) وهي قصيدة حماسية مليئة بروح النكتة .

إن بولـونيـا قد جهلت كل الجهـل مذهب القرن السابع عشر المدرسي فلم يكن رد الفعل الشديد ضرورياً إذاً لها ، وبعد خصام قصـير اصطلح المـدرسيون والإبداعيون ، ومهما كان الأمر فإن شعر ميكيـويكـز : (هذا السحر الواقعي) يتميز بإيجاز الكلمات وصلابة الاستعارات فى بساطة رجولية .

ويجب علينـا حتى نـناقش كما يلائم تقى البـولـوني نحو ابداعيية ، أن نعلم بأنهم حققـوا خليطـة بدءاً من جواهـر مختلفة إلى أبعد حدود الاختلاف (تستبق الحكم لدى البدء ، بوجود هذا الشيء الذي هو خاص بكل أدب) لقـد حققـوه إمـا على غرار ميكـيـويـكـز أو أنـتـوني مالـكـز يوسكي (١٧٩٣ - ١٨٢٦) اللذين طبقا على فنهما الصناعي أنظمة عصر العقل ، وإمـا على نسـق منـافس ميـكـيـويـكـز (جولـيـوسـز ستـوواكـي) (١٨٠٩ - ١٨٤٩) الـذي يثير في الـوجدان تفجـراً من « غير المألـوف »

ويتحـول شعـرهم حينئـذ إلى رمـزيـة صافيـة . ولكن الشكل ليس وحده في الميزان ، فإن هؤلاء الإبداعيين وقد انطلقوا من الثورة البيرونية انضموا حالاً إلى سابقيهم في الدعوى المقامة على الفرد ، التي لم يدركها هؤلاء وأولئك إلا موقـوفـة كلهـا على متطلبـات المـدنيـة - فالبطـل في أشعارهـم - وهو متعدد الألبسـة - ليس الفـرد ولكنـه الجـماعـة ، كما كان الحـال قديـماً في رد الـرسـل اليونانيين وقصائد الحماسة البطولية في القرن السابع عشر . إن الإيمان برسالة شعبهم المختـار يتجلى مرتـين في وقت واحـد . مرة بصفـة حارس « الحـريـة الذهبية » للنبلاء المهددة بالملكية المطلقة ، ومرة أخرى بصفة فارس المسيحية صادع الكفار - يجد عندهم تفسيراً جديداً متكوناً من الرسوبات المتتابعة التي تركتهـا اليعقوبية والأسطورة النابوليونية والاشتراكية الخيالية . إن البلد الذي تجسـدت فيـه « الثـورة الخالدة » هو بولونيا - إلى جانب فرنسا - وعليها يقوم واجب قلب النظـام غير المحتمـل لجيوش الحلف المقدس الذي يخنق أوربا . وهكـذا حينـما استقبـل البابا ميكيويكز في مقابلة سنة ١٨٤٨ أمسك هذا بكم البابا وهو يصيح : « إن روح الله تحت دراريع شعب باريز ! » .

كانت القصائد تُتداول وقد أعيد نسخها باليد ، على الرغم من أوامر المنـع الشـرطيـة وكـانـت الحـدود تنطمس بين الكلمة والعمل ، لأن كل كلمة تعـادل قنبلة ، وإن مؤلفي القصـائـد وقـراءهـا ليسوا رجالاً شباناً مرضى من كلالة الحياة ، أو نساء أطباء مقاطعة يحلمن بحب حقيقي ، ولكنهم متآمرون ومبعـدون سيـاسيـون ومحكومون بالأشغال الشاقة في مناجم سيبيريا . . . . فالكلام على « مدرسة أدبية » والحال هي هذه ، لايشار إليه إلا قليلاً .

هكذا كانت الابداعية البولونية ، وليس من شيء اليوم في مستوى أن يقنـع القـارىء الأجنبي بأنهـا تستحق نصيبـاً أكـبر من العطف والاهتمام غير المربكين . إن سيلان دماء الشعوب في النضال من أجل الاستقلال شيء رائع

جداً ، ويجوز التقدير إلى درجة الكمال ولكن شعرها المبالغ بالنفعية الذي يخدم بحماسة مفرطة أهدافاً خاصة بها جداً ، ينبغي أن يكون بصورة سوية عديم المفاجأة ، وحتى نستوفي القول ، منهكاً . هذا مايجب أن يفكر فيه تقريباً كل فرنسي على عكس البولوني ، ولكن الأمر ليس هنا إلا لعب مظاهر ، حيث البولوني هو الخاسر ، لأنه لو أقسم على أن شعره الابداعي ذو رحابة نادرة فلن يفعل شيئاً غير أن يعطي وثيقة جديدة ضد نظريته الخاصة . إن معرفة النص الأصلي وحدها تسمح بأن يميز الطارىء من الجوهري . والحال هي أنه لا الوطنية الملتهبة ولا الاستعداد للتضحية ولا المفاهيم الهاذية بالرسول المنتظر هي مايشكل ماهو جوهري في هذا الشعر لدى البولونيين ثم . فالقيمة عندهم لغريزة الحس التاريخي الحادة جداً بحيث لايوجد لها دون شك أي مماثل في جميع الشعر الأوربي فلسفة التاريخ هذه وهي سجادة وراء كل سطر ، تنتسب تارة الى « هيجل » وتنتصب تارة ضده ، أو هي تبشر ، كذلك ، كما في (سفر التكوين بالروح) « لسلوواكي » بمجيء « تيلهارد دونشاردان » إن أكثر شيء دواماً في ذلك كله هو الرغبة في أن يُصنع من الصيرورة التاريخية شيء ما قابل للمس ، حاضر كله ، محتوم . كانت الدواعي التي تلهم هؤلاء الشعراء ذات طابع خاص في قسم منها . كانوا يحاولون ، وهم ينكرون الحاضر ببعيص ، أن يمدوا جسراً بين الماضي العجيب والمستقبل العجيب . وهذا هو السبب في أنهم كانوا يهيمون بالحركة . ولكنهم كانوا يفرون مما هو خاص وينضمون إلى ماهو عام ، لاعتقادهم أن الفرد ليس عاجزاً أمام التاريخ لأن دوره هو دور رافعة لقوة متناسبة مع المسافة ، أي مع الزمن . إن شعورهم بما هو مأساوي كان يجب أن يوجد لهم قراء في بيئات أخرى غير البيئة السلافية . ولكنه لغتهم التي ليست مألوفة إلا قليلاً لدى الغربيين حرمتهم من بيئة استماع واسعة ، ولم يُعرضوا

على الانظار مطلقاً إلا بفضل شخص وسيط ليس شاعراً ، بل ثائراً ، ولغته فضلاً عن ذلك هي الانكليزية . وفي الحقيقة يوجد بين إنتاج « جوزيف كونراد » « كورزنييووسكي » المعروف باسم جوزيف كونراد - وبين الشعر البولوني قرابة واضحة يشعر بها من يستطيع أن يقابل بين قصصه ومطالعات شبابه .

ولقد عاش الإبداعيون البولونيون الرئيسيون ، لأسباب من مستوى سياسي ، أكبر قسم من حياتهم في الهجرة ، وعاش أكثرهم في باريز . ولكن دون أن يتصلوا عن قرب كاف بالشعراء الغربيين الذين لاحظوهم أكثر مما أعجبوا بهم .

وذلك لأنهم كانوا يمحضون التاريخ دورا غير ممكن تقريباً ، دور ان يكون حدثا ، جواب الانسان على نداء التاريخ ، وفي الحقيقة كانوا يحتقرون الادب . فقد كان ميكيويكز ينعت « بالتسلية » أكمل إنتاجه « بان تادوسز » لأنه كان يتألم من نقص الالتزام وبعد أن قتل في نفسه روح الشاعر ، كان يختار العمل المباشر ، عمل خطيب يحول الى محكمة سياسية كرسيه المخصص للآداب السلافية في « الكوليج دوفرانس » عمل صحافي ومدير ثورات مسلحة . وكان « جوليوس سلوواكي » ذو الرؤى الروحية على غرار « بليك » يجد لانتاجه الأدبي تبريراً في أعلى مراتب الفن ، كان يعتبر نفسه بمثابة خالق يحمل تاريخ وطنه الى مستوى أعلى بفضل تجارته مع القوى الروحية التي هي نفسها ملتزمة بالتاريخ . (ولم يكن « سلوواكي » يعرف « بليك » الذي جعل « البيون » مجال المعارك بن القدرات الأسطوريه) او كان زيكموونت . كرازينسكي (١٨١٢ - ١٨٥٩) الارستقراطي المحافظ يختلف ، عن كل منهما كثيرا . ومع ذلك فهو ينضم اليهم في إدانة مشتركة خلقية لكل فن ، فليس الفن . الا فخا ينصبه لنا حبنا

لذاتنا ، وهو على الاقل بالاضافه الى كونه امتدادا مبالغا بالذات مفسدا لايؤثر على المصير الجماعي للمجتمعات . إن الملهاة غير المقدسة لكرازينسكي التي مثلت نادرا لاحتوائها على تيسير الجماعات تهدف الى ثورة مستقبله محللة بصورة دقيقة في أصناف من الطبقات - أصناف ماركسية - تنزع الى أن نقول : ولكن ماركس كان لايزال طفلا حين كتبت هذه القطعة سنة ١٨٣٣ ودون عطف على حضن الثالوث الأقدس الذي هو بصورة حاطئة مسيحي ، حيث اعتصم الثوار ، لم يكن له عطف أكبر على جيوش المادية الكافرة التي تهاجمه . ولايرى كرازينسكي نتيجة . الا في نفي النفي فان الثورة بعد أن قلبت النظام القديم ، كسرت بدورها من قبل المسيحية الحقيقية ، على مستوى أكثر ارتفاعا من الخط اللولبي الجدلي .

إن عناوين الفصل في التاريخ الأدبي هي قضية مواضعة ، وان الإبداعية تشغل في بولونيا القسم الأكبر من القرن التاسع عشر ، ولكنها ليست موحدة . الا بنفحة ما سياسية وفوق ذلك هي شيء قليل إذا كان يوضع أندره شينييه ، ولا مارتين ، ومالارميه وكلوديل ، في نسق واحد ، في أحد الأقطاب يوجد بان تادوسز في مزدوجات من ثلاثة عشر مقطعاً . عجيبة ، معرضة للخطر بين الحساسية الفنية للبولوني وجفاف البولونيين المعجبين ببوب ودوليل . وفي القطب المقابل نجد الغنائية الغريبة للمخطوطات الروحية لسلوواكي الذي كان يريد أن يعبر عن الموسيقا باللون ، وعن اللون بالموسيقا ، ولم يبدأ بقراءته حقيقة إلا في مطلع القرن العشرين حين اكتشف بأن المنحدرين والرمزيين لم يأتوا دون أن يسبقهم مبشرون هامّون .

نورويد المبشّر

ان للشعر البولوني الحديث كما لغيره من الأشعار الأخرى كلها سيداً هو

بطبيعة الأمر شهيد . إن محور كلامنا هو (كيبر يان كاميل نورويد ١٨٢١ - ١٨٨٣) الذي أريد أن يجعل منه بالمبالغة المتكلفة إبداعيا ورساماً ومثالاً . عاش كبر يان نورويد سنوات طويلة في قلب أهوال[1] المدن الكبيرة . باريز ، ونيويورك ، ولندن ، حيث عرف جميع أنواع المرارات التي يمكن أن تدخرها الوحدة والفقر والعمل اليدوي واحتقار الناشرين والقراء لكاتب . كان شعره في مجموعه تقريباً غير قابل للفهم من قبل معاصريه . ولا يمكن أن يكون غير ذلك . ان استعمال الأوتاد بفضل المقاطع المنبرة أو دونها يعطينا الشعر المقطعي الملحن . فاذا انعطف كثيراً بوضوح نحو اللحن الشجي (الميلوديا) أصبح رسمه الموزون الرصين تكراراً مبتذلاً . وذلك ما حدث عند انحدار الإبداعية . إن الجمهور كان يقدر حينئذ ما كان (مغنياً) ، (شجي اللحن) قام نورويد برد فعل واع كامل الوعي بأن طرد من شعره الضجيج الصوتي بأن فرض عليه إيقاف الأوزان المتنوعة في النثر . وفي استخدامه الصور كان يتجنب كل ما هو خلاب بأن يعمل بأنصاف درجات الألوان في نور مظلل . وعلاوة على ذلك فقد كان تهكمه الذي هو أحياناً مبطن بحيث يخمن بمشقة تحت قشرة القصيدة ، يطرد عطف الناس الأحسن تقبلاً على هذا الشاعر العقلي وأصبح مشهوراً بأنه رجل يرمي مسبقاً بكل تماس مع القارىء.

ماذا يعني بالنسبة إلى شعرنا ، واقع أن له سيداً مثل نورويد ؟ ربما كان يجب أولاً أن نجيب على هذا السؤال قبل أن ننظر فيه بكامل الوضوح في الإبداعية . إن الشعر الحديث في الغرب كان وليد خيبة الأمل الميتافيزيقية للفرد المنعزل الثائر ضد العزلة الذي لم يكن يتوصل الى تأكيد شخصيته وأن يخلق قيما لنفسه إلا بالعمل الفني . أما في بولونيا فإن التقدم غير التام لفرد ،

(١) الأهوال هنا جمع هول - غول وهو ترجمة Leviathan وهو كائن عجيب الخلقة ضخم الجثة . تتحدث عنه التوراة في الاصحاح الثالث وهو مثل لضخامة الجثة وغرابة الخلقة كالغول في الأساطير العربية .

أو نقص قدرتـه على النضـال يمكن ان يفسـر بشكـل مغـايـر . فإذا كانت الإبـداعيـة نفسها عاجزة عن أن تضع الفرد في المستوى الأول بسبب تحولات قد تكبـدتهـا هذه الحـركـة الأدبيـة ، فذلك لأن خدمة الهدف المشترك خدمة الـوطن والإنسـانيـة كانت تتضمن رفضاً ما لنفسها . قد يأسف الإنسان لهذا النـوع من التهـرب ولكن يجب أن يعـتـرف في مقـابل ذلك على التساوي بأنه ليس دون فائـدة . إن نورويـد في ارتيـاده الكلمات بطـريقته في تقسيم الجملة يشغـل في الشعـر البـولـوني مركـزاً مماثلاً لمركز مالا رميه في فرنسا . وقد قطر في الـوقت نفسـه فلسفة التاريخ التي يأخذ بها الإبداعيون ، ولم يحتفظ منها الا بما لايزال ذا قيمة اليوم وقد أبعد بفعله هذا عن اخلافه محاولة أن يسجنوا انفسهم في دائرة طباشير الفن الصرف .

إن إنتـاجـه قد ولـد من تأمـل في المـاضي ، اليهـودي ، واليـونـاني ، والـرومـاني ، لسـواحـل البحـر الأبيض ولمـا كان كاثوليكياً ، فقد كان مبهوراً بحـركـة التاريخ - ذلك السهم المرمي كما كان يفكر من قبل المسيحيةُ البدائية نحـو هذا العهـد البعيـد حيث لم يعد الشهيد ضرورياً على الأرض » - على درجـة سواء من قبـل تتميم واجبـات العمـل الـذي يرجع في هذا التطور الى التمـدن الصنـاعي الغـربي . وهـو ثائـر ضد عيـوب هذا التمدن في كثير من قصـائـده . فالمـارة المتـلاقـون في شوارع المـدن الكبيرة هم سجناء حقيقيون « للمـدينـة الجحيميـة » ولكن ذلـك لم يضعف من توصله الى فلسفة متفائلة لعمـل الانسـان الـذي يكـون بالنسبـة الى هذا الانسـان الأمـل الـوحيد في الانبعـاث . إن عمـل الخلق لدى الـرسـام والمثال والشاعر . على مشقاته - كان بالنسبـة اليـه التتـويـج والتأليـه للعمل البدني ، فالفن لايمكن أن يكون هدفاً في نفسه ، ولكنه راية فوق برج أعمال الإنسان .

ان مفاهيم نورويد هذه لايمكن أن تفصل عن ممارسته الشعر ، وليس

يُرى في انتاجه أثر للخلاف بين الفرد وعالم محروم من التبرير الميتافيزيقي ، وتبعاً لذلك من كل قيمة . فهذا الشعر على العكس يقبل على أنه يقين ، الاستقلال المقيد بين الفرد المتحرز بفضل العمل والتاريخ المفهوم كاستطالة لعلاقات السيد المسيح بالعالم وان الزمن الذي ليس قدراً محتوماً نتحمله فقط ، بل هو مكيف بشكل خلاق هو عنصر لا يخص الفرد فقط على انه ملكية خاصة ، بل هو ملك للأجيال أيضاً . إن نورويد هو شاعر الزمن - ومن ذلك غرامه بكل مايخلد الزمن المتبلور (كالخرائب ، والحجارة المصنوعة ، وأوراق البردي ، والأدوات المجموعة في المتاحف) وإحياءاته لثقافات ماقبل التاريخ . ان الشاعر الوحيد المعروف قليلاً في فرنسا الذي يستطيع ان يعطي فكرة ضعيفة عن هذه النزعة التاريخية الملتقطة لنورويد هو كونستانتان كافافيس ، هذا الاغريقي من الاسكندرية الذي كان يرتاد الماضي الهيليني ، وذلك بغض النظر عن كل الفروق بين الشاعرين .

وحيث كان نورويد يموت في باريز منسياً فقيراً جداً بحيث ألقيت جثته في الخندق العام ، كان الشعر في بولونيا ينهار شيئاً فشيئاً . إن مذهب الاختباريين المادي لم يفده على الرغم من أنه بُرر حينئذ في هذا البلد الذي أهلكت فيه الثورات المتتابعة بضراوة أفضل الشبان الذين سقطوا في ميادين المعركة أوقدموا الى المشنقة او الى مناجم سيبريا ، أوهاجروا الى الغرب ، ان الاختباريين الذين ينتسبون الى هربرت سبنسر أكثر منهم إلى أوغست كنت - كانوا يفهمون الأدب فهماً نفعياً كأنه خدمة اجتماعية ، وبذلك كانوا يؤكدون مرة أخرى قوة التقليد ، وكانوا خصوماً للشعر يرون أنه ضد المنطق السليم ، فدفعتهم أبحاثهم عن مجتمع قد أتمت تحويلةً رأسمالية جاءت متأ- -رة نحو القصة . ولم تبدأ عودة الجديد من الشعر إلا في بحر السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر .

بولونيا الفتاة

ان الرمزية الفرنسية لم تهاجر فقط عبر المانش والمحيط الأطلسي لتخصب الشعر الانكليزي والامريكي ، وإنما اجتاحت أيضاً عبر سهول القارة ، بولونيا ، وروسيا ، منافسة من وجه آخر الصادر الألماني من إنتاج شوبنهور وواغنر ونيتشه . لنشر أولاً إلى أن الشعر الفرنسي الذي هو فردي بشكل عالٍ جداً ، وجب عليه أن يقهر عقبات هائلة قبل أن يتنبى في هذا البلد حيث الأنا غير المروض اجتماعياً كان يرزح تحت الألم من الجحود الجاثم فوق خطيئة الكبرياء . كذلك فإن الرمزية فهمت في بولونيا وفي روسيا بشكل خاص جداً . وقد انغرست فيهما مع ذلك وسط نعمة بيئة جديدة من الدولية لسجل علاوة على ذلك أن الشعر البولوني والشعر الروسي يبدو ان أول مرة منطلقين على وفاق .

وها هي ذي أيضاً إحدى المتناقضات السلافية . فبولونيا وروسيا كانتا تتبعان طرقاً متباعدة فكل ماكان قد تغذى منه الشعر البولوني كالكاثوليكية ومناهضة الكنيسة في القرون الوسطى المتأخرة ، والنهضة والإصلاح و «غير المألوف» لمناهضة الإصلاح - لم يكن قد مسَّ روسيا مطلقاً . وكان الكتاب البولونيون والروس قد ارتموا بشراهة على كتابات فرنسيي قرن الأنوار ، ولكن دون أن يستنبطوا الجوهر نفسه فالفكرة العقلية التي أتعبتها في روسيا المراقبة كانت تجد لها تعبيراً أو متنفساً في بعض التحرر في العادات أكثر منها في هذه البرامج الأصولية التي كانت في بولونيا سائدة بانفتاح في الشعر وفي النثر . ويمكن بالتأكيد أن يكتشف توافقات بين الإبداعيين الأول البولونيين والروس ، بل خلق صداقات بينهما وارتباطات ، ولكن شيطان شعرهما ، التاريخ ، لم يكن مشتركا بينهما الا بالاسم ، فلم يكن لدى البولونيين والروس

يسير في الطريق نفسها ، ولم يكن يبدي لهما الوجه نفسه ، ومع ذلك فمن المؤكد ان الشعر البولوني غير المستساغ في الغرب لايمكن أن يحاكمه محاكمة مناسبة الا سلافيون ، كالشعر الروسي نفسه تماماً . فالقصيدة التي اعتبرها خطأ أو صواباً قمة فنية في الشعر الروسي - كالفارس البرونزي لبوشكين مثلاً - هي موضع جدل لدى ميكيويكز . وبطرس الأكبر المدان دون استئناف لدى ميكيويكز ، يأخذ عند بوشكين أبعاد الرمز نفسه لدماغ الدولة . فالشعر البولوني يثير مخيفاً ، قادراً أن يحطم كل شيء ، الغضب والاعجاب بنسبة متساوية . وذلك الذي لايعرف الشعر البولوني ولا الشعر الروسي لن يعرف ان يقدر الى أي حد تصل قدرة العواطف السياسية التي يمكن ان يشتق منها هذا النشاط المتواضع الذي يقوم على صف الحروف فوق الورق .

وقد اجتهدت حتى الآن أن أقول ببساطة ما هو واقع ، وأحب أن أسمح لنفسي الآن ببعض مناجيات قد لاتمر دون بعض الغنائية ، فأنا عندما أقرأ هذا الشعر البولوني والروسي وأوزانه مع الشعر الفرنسي ، والانكليزي والامريكي ، أحس أني سلافي - وهو مختلف الى هذا الحد عن كل ماأنتجه الغرب . ومع ذلك ، وعلى الرغم من شعور مشترك بالمسؤولية نحو المدينة فإن التأثيرات والتشابكات بين الشعر البولوني والشعر الروسي كانت محدودة بصورة خارقة للعادة طوال القرن التاسع عشر كله ، ونخص بالذكر مايتعلق بفلسفة التاريخ المهمة جدا مع ذلك ، وبالحرفة الشعرية نفسها . فالعداوة المتبادلة بين البلدين لها في ذلك دور كبير ولكن التباينات بين هاتين اللغتين السلافيتين لها دورها الكبير أيضاً . فإن الهيكل الفخم للشعر الروسي ، ونبرته العالية الصوت ووزنه ذا الأوتار المجموعة ، أمور تصدم بفظاظة أذنا بولونية ، إنه كثير الضجيج مفرط القوة والشعر البولوني على عكسه ، محروم

من النبرات المتحركة ، مقيد بتنبيره الساكن لما قبل آخر الكلمة ، ولذا فهو يثير الروسي الذي لايرى فيه إلا هدير موجة أو حفيف الأوراق الميتة .

ومهما كان الأمر فإن الرمزيين بولونيين وروساً ، أو بالأصح من هم بعد الرمزيين ، قد تلاقوا في عبادتهم للشعر الفرنسي ، في كلمتهم الآمرة « الفن للفن » التي كانت تغضب الرأي العام ، كما تلاقوا في ميلهم الى التجريب . وبعد ذلك ، بل منذ هذا اليوم نفسه كان من الطبيعي أن تتباعد طرق الشعرين البولوني والروسي مرة أخرى .

إن الشاعر الفرنسي يعمل بمساعدة المفردات الموجودة ، وهو لايحصل على « الرعشة الجديدة » الا بروابط لغوية ، ولايستطيع أن يكون كالشاعر السلافي ، آدماً يخترع كلمات لم يقررها المجمع اللغوي مطلقا فهذه الموهبة من التمتمة هي عندي أثمن الثمرات التي تنتجها حراثة الأرض اللغوية من قبل الرمزيين وهي موهبة عجيبة قدر ما هي خطيرة . ان الانتاج الأدبي لما يسمى « بولونيا الفتاة » وهو حركة أدبية في مفصلة قرنين (كما هو الحال تماماً في أدب « اسكاندينافيا الفتاة » أو « ألمانيا الفتاة ») يؤكد ماقلته قبل عن الصعوبات الدائمة التي يجب أن تقهر حينما يكتب في البولونية ، فالثورة الموجهة ضد التصوير باللونين الأبيض والأسود الذي يقوم به الاختباريون سمحت بنيل حريات جديدة . ولكن هذه الحريات انتهت الى تصنع يبدو لنا اليوم مستوجباً للسخرية ، وليس في سبيل لا شيء أن انتسب « ذووالاتجاه الجديد » كما كانوا يسمون الى سلوواكي « غير المألوف » الذي ترجمت عفويته حينئذ بتشوهات كاريكاتورية للتركيب ، وللتعويض عن ذلك انطلق من بينهم اولئك الذين اختطوا لأنفسهم بصعوبة وبطء طريقاً نحو البقع البيضاء المستمرة فوق خارطة اللغة ، انطلقوا أبعد كثيراً جداً في الاختراع من زملائهم الغربيين وهكذا عاش « بولسلوليسميان ١٨٧٨ - ١٩٣٧ » حرفياً في

عالم من المخلوقات الوهمية المنبثقة من خياله : كلمات ، أشياء ، وكلمات - مخلوقات مشتقة من اكثر الأصول السلافية قدماً (كان يعرف ويتكلم اللغة الروسية بنفس القدر من الاجادة كاللغة البولونية ، وذلك ماوجه على صورة ماأبحاثه اللغوية) ومع ذلك فلن يعرف كيف يقرب من « دادا » إن قصائده البالادية الموسومة بأنها تقليد شعبي تفسر علم وجدانياته أو مجرداته . وقد حاول أن يقهر خوفه من الموت تحت سماء ليس فيها « الله » فعمر الأرض والسماء بقدسي يقيم في ثنايا اللغة كما يقيم في قلب الحواء البدائي وبملائكة موجدين بدسائس سحرية وبأهوال مستنبطة من الأساطير - الحقيقة الوحيدة التي يمكن أن نحيط بها . هذا الوجود الذي هو بصورة صرفة للطبيعة كلها يفسر لدى ليسميان حاجة لايمكن حبسها للجواب على أسئلة مطروحة على عقل موسوم بل مختوم بالفلسفة ، وأكون ظالماً لو اجتزت تحت ظلال الصمت في هذا المدخل ، شخصية ستانيسلو ويسپيانسكي (١٨٦٩ - ١٩٠٧) ومع ذلك فهو ينتسب بالدرجة الأولى الى تاريخ المسرح الذي هو في بولونيا مسرح شعري فقط تقريباً .

إن أحد المحرضين الرئيسين « لبولونيا الفتاة » وهي الحركة التي وصلت إلى أوجها سنة ١٩١٤ كان زينون برزيسمكي أول مترجم بولوني لآرثور ريمبو ، ومكتشف نورويد . إن صحيفة « شيميرا » التي كان يديرها نشرت آثاراً غير مطبوعة لنورويد وبعضاً من نصوصه التي لم يكن يعرف منها حتى ذلك الوقت إلا نُبَذ . والحال هي أن « أسطورة نورويد » التي هي اليوم أولية للشعر البولوني لم تتشكل دفعة واحدة ، فإن هذا الشاعر الفيلسوف كان يظهر بعيد المنال إلى هذا الحد .

إن « بولونيا الفتاة » شكلت جوهرياً مدخلاً إلى فتوحات تالية : ولم يظهر في وضح النهار حظ التقسيم الذي كانت تخفيه إلا بعد الحرب العالمية الاولى

« سكاماندر والطليعة »

الآن هانحن أولاء إذاً في هذا البلد الجديد ، الدولة البولونية التي عادت مستقلة سنة ١٩١٨ بعد كسوف طويل ، لقد ربيت بها ، واشتركت بنشاط في الجدل بين الجماعات الأدبية وبقوة بحيث أن القضايا التي أتناولها الآن ليس لها عندي أي نصيب من التجريد . لقد دخل جيلي في المعركة الأدبية مع بداية الثلاثينيات مناضلاً ضد مجلة « سكاماندر » الشعرية ، وهي عضو من جماعة صغيرة من الشعراء الموهوبين الذين كانوا قد أسسوا في فارسوفيا في الوقت الذي كانت فيه العمليات الحربية لاتزال تتابع قهوتهم « أو بيكادور » ونشروا بعد ذلك بقليل بياناً هو من الجودة بحيث أن سكاماندر انتهت بكثير من السرعة إلى أن تدل على مدرسة فشباب هؤلاء الشعراء وسزاجهم الانفجاري وغريزتهم العظيمة الذواقة للشكل استولت بصورة مباشرة على الجمهور ، وعرفت صفائح قصائدهم الطابعة نسخاً متعددة عنها هامة.إن تصديقهم المغتبط بالحياة وبيانهم يتلخص بذلك - يتوافق مع الثمل العام الذي أثاره الاستقلال المنال بصورة جد مفاجئة . أما امتداحهم المدينة والجمهور - ولم يكن دون علاقة باعجابهم « بوالت ويتمان » فقد كان يتناسق مع الثقة التي لم تكن حينئذ أقل عموماً بالديمقراطية . والحال هي أن الذي كان له النصيب الأكبر في نجاحهم هو ، دون شك ، تلك البراعة النادرة التي عرفوا أن يوفقوا بها بين التقاليد الوطنية ومذهب المواطنة العالمية ، وهكذا أفلت بسرعة نجوم الجماعات المنافسة ، نجوم الانطباعيين والمستقبليين الذين كانوا يستقون بصورة واضحة إلهامهم من الخارج . إن آجولياث توويم (١٨٩٤ - ١٩٥٣) كازيمير زويير زينسكي (المولود سنة ١٨٩٤) ، جاروسلاو إيواسزكييويكز (المولود في ١٨٩٤) أنتوني سلومينيسكي (المولود في

١٨٩٥) ماريا باوليكووسكا (١٨٩٥ - ١٩٤١) ، جان ليشون (١٨٩٩ - ١٩٥٦) إن هؤلاء لم يكونوا يهجرون العروض الإبداعي ، ولكنهم كانوا يجربون في الوقت نفسه أعاريض أخرى ، وهم دائماً مبهورون بالقافية والتجانس الصوتي . كانوا يشعرون كالرمزيين تماماً بنفور من الجماعية التي تخنق الفرد ولم تكن قصائدهم فقط ثأراً للأنا - وماأشد ضرورته !- ولكنها كانت أيضاً عربة المفاهيم لتقدمية متحررة . وعلى أنهم كانوا أمناء لكوشانو سكي ولميكيويكز فإنهم لم يكونوا أقل انفتاحاً منهما للتأثيرات سواء منها الفرنسية والروسية .

فماذا يأخذ الجيل الشاب إذاً على سكاماندر التي هيمنت على المسرح الأدبي من ١٩١٨ إلى ١٩٣٩ دون جدال ؟ . كان يمقت « التيار الغنائي » الوضع التقي للشاعر الذي يكتب تحت إملاء « شيطانه » الغناء الموزون الذي كان يشكل في رأي النقاد المفضلين لدى سكاماندر ماهو جوهري في الشعر . هذه المآخذ تعود في الحقيقة إلى مأخذ واحد ؛ كثير من الكلمات . وأولئك الذين كانوا يُدعَون « طليعة كراكوفي » والذين كان على رأس سلسلتهم « تادوسزبيير (المولود سنة ١٨٩١) . وجوليان برزيبوس (المولود في ١٩٠٠) كانوا يتطلبون حياء المشاعر وصرامة رياضية في الاستعارات ، وكان يجب أن يصلوا بين عاطفة الشاعر بشكل مُحوّر وبين مراسلات عديدة تعمل أقرب فأقرب . ولما كانت الطليعة متعصبة عقائدية فقد أخذت مهارة خصومها الموسيقية مأخذ الإهمال ، ولم تكن في اعتباراتها النظرية وفي ممارستها العملية للشعر تبدو أقل رغبة في تغيير أساسي للوضع تجاه اللغة بضمير جديد لردود المقاومة التي تقابلنا بها هذه اللغة . لم يكن الأمر يتعلق على الأرجح بمبادىء جديدة من النظام تطرح كل وزن عروضي مقطعي لحني . كان الأحداث يُعرضون وينأون بجانبهم ساخرين من الجمال مؤثرين عليه

الـرنينـات الصـاقلة وبيـان نورويد المخنوق . كانوا يتبنون وفقاً لمبادئهم على أنهم طليعـة التقليـد الشعبي وغنائية القرن السابع عشر البورجوازية . وبهذه المنـاسبـة يجب أن نذكـر في المكـان الأول تمامـاً « جوزيف كزوشـوويكـز (١٩٠٣ - ١٩٣٩) . وكـان غويّـوم آبـولينير كوستر وويكي يجد من جديد وطن أجـداده في الـتراجم التى ألفها عن هذا الوطن آدم وازيك (المولود سنة ١٩٠٥) الشاعر الممتاز الذي استطاع أن يستخرج من هذا التلاقي تشجيعاً على متابعة أبحاثه الخاصة في مادة العروض .

إنـه في ذلـك الـوقت عاد تاريـخ بولونيا المضطرب دائماً على الرغم من الـوضـع السـوي الظاهر الذي يرجع الفضل فيه إلى الاستقلال ، إلى إيلام الشعـراء حوالي سنـة ١٩٣٠ . هذه المـرة كانت الضـائقـة الاقتصـادية وتألق الهتلريـة في ألمـانيا القريبة كل القرب . ولم يعد كافيا تمجيد الحياة الذي يعرف أن يحل بنفسـه أكثر القضـايـا صعـوبـة - كما كان يدعي . كان الأحـداث يهاجمـون إذاً هذه المـدرسـة لمذهب « الحيـويـة » الـذي كان يصنـع أسـاس برامجهـا ، لابـل أيضـاً من أجـل عروضهـا العـاجـز أمام التعقيدات الفكرية والتهديدات المتزايدة التي تجثم فوق الفكر .

كان جيلي مظلماً ، كان ينذر بالكوارث ، وتكاثر أضعافاً مضاعفة عدد الكـاسـانـدريـن (١) ولنـلاحـظ بهذه المناسبة أن مزج الجد بالسخرية يبدو السمة الدائمة للشعر البولوني ، حيث الجاذبية التى يحدثها ماهو خارق مخالف للعـادة ، وتحـدثهـا الجـوانب الهـزليـة من الأمور المحزنة الجنائزية لها من قدم

---

(١) جمع كاساندر : يضرب مثلا لمن يتنبأ ولا يلاقي تنبؤاته عرفانا بالجميل . واصله ان امراة يونانية وهبها الاله القدرة على التنبؤ . ولكنها قصرت في واجبها نحوه فقضى ان لايصدق احد تنبؤاتها . وصارت بعد جارية لاغا ممنون . وقتلت بعد رجوعه الى اليونان بقليل بسبب تنبوءاتها .

التاريخ مالتأثير « غير المألوف » في تاريخ الأدب البولوني . وهكذا ظهر في هذا العصر تشاؤم الكتاب ورافقه على الأخص نكسة من التهكم ، حتى أن سكاماندر التي كان تهكمها في السابق باشا طلقاً أصبح مراً بعد ١٩٣٠ . إن جوليان تورويم عاشق السحر اللغوي الخاص باللغات السلافية (والذي أصبح بذلك خلف بوليسلاوليسميان) لم يعبر في أي مكان عن عاطفته كما يبدو لي بأجود مما عبر عنها في قصيدته الطويلة السياسية « الأوبرا الراقصة » ففي هذه الحفلة الراقصة التي أقامها حاكم طاغية يتزاحم الأغنياء المتنفذون (١) والارستقراطيون ورجال الشرطة السرية والمومسات . وهو فن عرض أشباح مؤلم من مرايا مشوهة على تناقض مع مشهد ساحة المدينة في الفجر حيث القرويون يقدمون خضرواتهم الى المدينة . إن غضب الشاعر يحتفظ دون أن يهتز بتوازن عروضي يبلغ حد الإعجاز . وفي الوقت نفسه تقريباً ظهرت « حفلة الرقص لدى سليمان » لكونستانتي ايلدفون غالكزينسكي (١٩٠٥ - ١٩٥٣) التي لم تقع في أي مكان . وهي كابوس حقيقي تعطي فيه الصور والحوادث المؤلفة بحسب منطق حلمي صورة لأوربا اليائسة المحكومة بالإعدام هذا البوهيمي الهزلي ، هذا المشعوذ أوهذا الشاعر المغني الجوال تلميذ الشارع في فارسوفيا ، هذا بروح نكتتة ، وبملذاته وبمشهد شعبيته الثقيلة ، مدين أيضاً كثيراً لشعراء سكاماندر الذين نقل عنهم الفن الشعري في صعيد فوق الواقعي المستخيل منطقاً . إن غالكزينسكي هو بالتأكيد آخر تجسيد لسكاماندر تجسيد كان يكذب نفسه بنفسه .

كان الشعر في بولونيا ، بشكل ما ، وقفاً على طبقة مثقفة وثيقة الارتباط دائماً بالتقدم البطيء لذينك الجبلين الثلجيين - روسيا الستالينية ، وألمانيا الهتلرية - اللذين سيحطمان تواً بولونيا ، حيث كانت تسحق

(١) ترجمة ploutacratie, Ploutocrat هو الحكم الذي يستلم فيه الاغنياء مقاليد الأمور .

الـديمـوقـراطيـة ضربـات يمين فاشية ولا سامية ، وانطلاقاً من هذه الظاهرة يمكن ان يفهم أدب السنوات ٣٠ . وإذا كان اليمين لم ينجح أي نجاح لدى الشعـراء برغم أنـه جهـد ليشـتريهم ، فإن انعطـافات الأوساط الفكرية نحو المـاركسيـة كانت تعبر عن نفسهـا في الشعـر . إن بولونيا لم تعط طوال القرن العشرين ، الا بعض شعراء ممتازين يمكن أن نطلق عليهم لقب الشيوعي .

إن المكـانـة الأولى تعطى هنـا الى « ولاديسـلاو برونيـوويسكي » ١٨٩٧ - ١٩٦٤ إنـه بشـدة غضبـه الخلقي وعفـوية انفجاره الثوري وغنائية نبرته ، في الحقيقـة رجـل من رجـال ١٨٤٨ الـذي وجـدت إبـداعيتـة صدىً مباشراً في الجـماهـير . إن غنـاء المعـركـة لبر ونيووسكي ، ذلك الغناء المتصف بالرجولة والايجـاز في الكلمات هوعلى الصعيـد العـروضي لون متحـول من شعـر سكـامـانـدر هاجمته الطليعة أيضاً أكثر من مرة ، فإنها لم تكن ترى فيه الا نوعاً من مؤلف أغـانٍ . وسيرة حيـاتـه تضعنـا على تماس مع مأسـاة الشيـوعيين البـولـونيـين . كان ضابطـا سنة ١٩٢٠ أثناء الحرب ضد روسيا الشيوعية التي كان رأسـمالهـا استقلال بولونيا ، وأصبح برونيووسكي تواً شيوعياً . ونعود بعد سنـة ١٩٣٩ لنجـده سجـين ستـالـين . وإن مصـير برونـوجـا سينسكي (١٩٠١ - ١٩٤٢) ليس أقل دلالة : فإنه يهاجر عشية الحرب العالمية الثانية إلى الاتحاد السوفييتي ليموت في معسكر تجمع في سيبريا .

كنت أحـد مؤسسي جماعـة « زاغـاري » هذه « الطليعة الثانية » (كما كان يقـال) التي كان لها مع الشيـوعيـة علاقـات خوائيـة تقريباً إن ميزتنا هي إحساسنا مقدماً بالأبعاد العالمية للكارثة التي كانت تقترب مع إحساسنا المبهم بأن الشعور بالروحية التاريخية الذي كان قد غمر بقوة شديدة الشعر البولوني في المـاضي ، كان وحـده يستطيـع أن يسـاعـد على اكتشاف الفوضى الحقيقية المضبوطة للأشكال والنظريات ، ومن هنا صدرعنا برغم الحلف المعقود بيننا

وبين « الطليعة الأولى » طليعة كراكوفي ، بعض التحفظ أمام مشاغلها واهتماماتها التي حكمنا عليها بأنها ضيقة جداً ، فالرؤى المتضمنة بشكل رمزي في قصائدنا كانت تبدو حينئذ اختزانات لامعنى لها ، ولكن تبين لسوء الحظ أنها نبوءات صادقة

أصوات جديدة واستمرار

جهلت بولونيا أثناء الحرب العالمية الثانية الأدب الموسوم بأدب التعاون . كانت القصائد تنتشر وقد أعيد نسخها باليد ، أو على الجلاتين ، أو حتى مطبوعة في الخفاء ، وقد وجد جميع الشعر نفسه كالماضي في خدمة القضية ، وكان يصبح سلاحاً فعالاً في المقاومة . وكانت الصحف المنشورة في الهجرة لخدمة الجيش البولوني على جبهات الغرب تمنح مجالاً رحباً للشعر ، وهذا الشعر هو دون جدال شهادة ثمينة خلقية وسياسية ، ولكن يجب ألا نقدرها فوق قدرها ، فعلى الصعيد الأدبي نرى المأساة في مغالاتها لدى أوستسوتيز وما جدانيك ، وترامبلينكا - تتجاوزالامكانات المألوفة للكلمة فالكلمة تخضع حينئذ إلى أوضاع آلية ، وتقتنع بالوسائل الموجودة ، والصياح ليس له تأثير في الشعر وإن فتية فارسوفيا الذين كانوا يبدؤ ون بالنشرات السرية الخفية كانوا يدركون ذلك ، وكانوا لاهتمامهم بايجاد بزة شكلية سامية يحاولون أن يغير وا على طريقتهم شكل الفن الشعري لما قبل الحرب لقد ماتوا جنوداً فوق المتاريس ، ولم يكن للتيار الذي كانوا يمثلونه أي امتداد

ومنذ سنة ١٩٤٥ ، وبرغم ارتباط بولونيا بالاتحاد السوفيتي ، لم يوجد الا قليل من العلاقات بين الشعرين البولوني والروسي ، وذلك أولاً لهذا السبب البسيط : وهو أن الشعر الروسي الذي كان نموه ملجماً بصورة

صناعية لم يكن له أي قوة من الجاذبية على القارىء البولوني ، فإنه لايذكره في أحسن الحالات إلا بآثار تصعد إلى سنة ١٩١٨ وتفصله عنها حتى ذلك الحين كثير من الأشياء ، وبخاصة التجديدات المستمرة التي أدخلها في الحساسية التتابع السريع لمدارس الطليعة . ومن جهة ثانية فإن التجارب الرهيبة للحرب والثورة الاجتماعية في بلد اجتاحه العدو وخسر من الرجال أكثر مما تعده سويسرا منهم يمثلان المعادل لقفزة مفاجئة في الزمن كذلك يبدو أن جميع عصر ماقبل الحرب يغيب الآن في المطارح البعيدة . وقد عرف الجيل الذي تقضت طفولته الأولى في المذابح أن يعطي اسماً للأشياء من جديد ، كأنه أخرس قد استعاد فجأة القدرة على الكلام . ولست أعلم شيئاً أكثر إثارة بهذا الاعتبار في شعر عصرنا الأوربي من أشعار تادوسز روزويكز (المولود في ١٩٢١) . فهي تطرح الوزن والقافية وكذلك الاستعارات . وفي ذلك العلامة على رفض كل شيء « لفن » منظور إليه على أنه غير خلقي ، وإرادة عري كامل في مجابهة العذاب الانساني ، والشعر يصنع حينئذ من كلمات مجتثة بالفأس - وهي أبسط الكلمات - ملفوظة بحلق مشدود ، وذات فلسفة يعبر بها عن الحاد انساني المذهب (١) إذا كان على كل حال ، « الحاد انساني المذهب » يستطيع أن يكون شيئاً آخر غير إثبات البراءة بالبرهان على الوجود في غير مكان الجريمة . هذا العري للانسان على الأرض التي لاترحم ، الذي لايعرف الذكاء نفسه أن ينجده ، والذي كشفه لنا الغرب من قبل في مسرح « بريخت » هو الذي يسيطر على الشعر البولوني منذ ١٩٤٥ . وإن التوجيه الذي سيظهر بعد ذلك لدى روزويكر ، عندما

---

(١) المذهب الانساني L,humanisme له أكثر من معنى والمراد به هنا مايتصل بالعلوم الانسانية كاللغة والأدب والتاريخ . ويعادي سلطة الكنيسة .

أنجز ترجمته الخاصة لمسرح المستحيل هو منطقي دون شك ومن الواضح أن مناهضة الشعر لدى روزويكر وتلاميذه لم تصدر من لاشيء كانت مدارس الطليعة قد هيأتها لترد بها على « التيار الغنائي » وهي كذلك لم تستعر شيئاً تقريباً من الشعر الغربي على الأقل مباشرة .

وهذا الاستقلال الذاتي أعطى للشعراء قوة أن يعارضوا الصحافة المقفاة التي كانت السلطة تريد أن تقهرهم عليها باسم الواقعية الاشتراكية . وهذه الواقعية الاشتراكية التي كانت إجبارية من ١٩٤٩ حتى ١٩٥٦ لاتستحق أن تذكر إلا دليلاً على زوغان جماعي . وكان خضوع بعض شعراء أكبر سناً لهذا المذهب ملتبساً جداً من وجه آخر بحيث جعل منهم موضع سخرية . ونجد في ذلك من جديد إحدى مميزات بولونيا الخاصة . فالسخرية الملحدة ، حتى تحت حلى رسمية لاتضيع شيئاً من صحتها . إن شعبية كونستانتي . إيلد فونس غالكزينسكي ، وبخاصة بين الشبان تفسر بصورة لاتقبل الجدل بلى كل القصائد . أسجل ببساطة هذه القضية دون أقل رضى . هذا الشاعر الذي يعتبر أستاذاً في تأليف الزخارف المستعارة من مختلف الاساليب وفي مختلف العصور (كحال غير المألوف في القرن السابع عشر تماماً) وقبل كل شيء أستاذاً في استعمال أسوأ الآثار المنتجة (١) لغايات تهكمية ، كان يحول الأفكار إلى ملحقات مشهد بحيث تكون تافهة بالية تفاهة الزي السائد ثم بلاه في الثياب وفي الشعر وكان لعبه الكبير بالدمى يغني الأفكار سواء أكانت خاطئة أم صحيحة .

إن إحدى الخصوصيات الأخرى لبولونيا مابعد الحرب العالمية الثانية

---

(١) ترجمة Les Camelotes والأصل فيها أسوأ البضاعة وتطلق على أسوأ الأشياء او الآثار الادبية المصنوعة أو المؤلفة

هي وجـود إنتـاج أدبي لكتاب مقيمين في الغرب . وإن الاحتقار الشائع لدى الغـربيـين كثيـراً للهجـرات السياسية التي هي عادة عاجزة سجينة أرهامها ، ونتيجـة لذلـك فهي إذاً قاحلة هذا الاحتقار يتسع حتى يشمل الأعمال الأدبية والموسيقيـة والتصويرية التي يبتدعها مهاجرون . والحال هي أن هذه الأعمال تنـد غالبـاً من بيئـة الهجـرة السياسية . فنظرياً يكون الشعر المنقول من أرضه المجتث من جذوره صعب الادراك ، ولكن المثل الذي قدمه أحسن الشعراء البـولـونيـين في القـرن التاسع عشر ، الذين قضوا في المنفى الشطر الأكبر من حيـاتهم يثبت العكس . ومهـما كان الأمـر ، وبغض النظـر عن السيـاسـة الحكـوميـة فإن الشعـر البـولـوني لم يكن في هذه السنـين العشـرين الأخيرة ، مقطوعاً قطعاً تاماً عن شعر البلاد الغربية ، ولا عما كان يكتب باللغة البولونية في الغرب .

وينبغي لي أن أعـتـرف بالحـماسـة السـاذجـة التي استحـوذت علي عند ماظهرت في بولونيا سنة ١٩٥٦ كوكبة من الشعراء الشبان بل جماعة حقيقية إذا أمكن القـول . أأكـون إنسـانـاً متعصبـاً للاستمـرار والخلود ؟ إن الفـترة بين ١٩٤٩ - ١٩٥٦ لم تكن إذاً الا حالـة استـراحـة . كان جهد القناعة المبذول قبل الحرب قد وقف مقاوماً أمام طوفان البلاغة النظامية الموقت . ومن المؤكد أن حياة التنسك لهؤلاء الشعراء الذين بدأوا في الغالب متأخرين بعض التأخر بسبب الرقابة وهجرهم الكلي للشعر المقطعي المنغم (وهي حركة عامة لعب فيهـا روزيـويكـز الـذي كان قد بدأ في ١٩٤٦ دوراً هامـا) كانـا يعطيان إلى قصـائـدهم طابع البحث في المخبر ، وكانا يجعلانهم موضع اللوم غالبا لأنهم غير قابلين لأن يفهمـوا . ولكنهم في مقـابـل ذلـك أوصلوا إلى الكـمال أداة ملائمـة لمتطلبـات لغـة ذات قدر محتـوم مسبق ، هي بطبيعتهـا ، ذات أوزان متغـيرة ، وذلـك دون أن يقعـوا في مبـالغـات الشكليـة . إن الاشمئـزاز من

الجدران التي تنز ، ومن السلالم الملطخة ومن الصنابير الراشحة ، قد تفسر لدى « ميرون بيالوسزيوسكي المولود في ١٩٢٢ » تطلب الاشياء التي تبقى وحدها عندما يهجرنا كلّ إنسان وكل شيء وإن صلواته لملعقة الخشب وللمشعل وللفرن تجد مبرراً لها في هذا المشهد الانساني الذي تكون فيه شجرة واحدة مريضة قائمة في سهل بلقع كنزاً في مثل تلك الساعة .

إن الضياع مقدر لعدة تجارب في الفن الحديث ولكن الوجدان الجديد لحياتنا لايمكن أن ينبق إلا من خلالها . إن الشاعر الذي أقدره من بين هؤلاء الشعراء المتنسكين أكبر تقدير هو« زبينييو هربرت » (المولود في ١٩٢٤) فقد وجد هذا الشاعر من جديد وهو يرفض كل السهولات ، نسباً تكاد تكون مدرسية . وشعره الفولاذي الذكر الشفاف في العين ، العقلي يبدو أنه يعمل في الزُّبد وحدها ، ويذهب في موجزاته حتى قاع التجربة الجماعية ، بعد أن قهر بذكاء قادر على التمييز ، شلل الارادة الذي يثيره إغراء المستحيل . إن « هربرت » هذا الشاعر ذا التهكم التاريخي يؤكد في رأيي خلود حركة توجه ، من خلال عدة تقلبات ، الشعر البولوني نحو الزمن الذي سما بقيمته كيريان نورويد سمواً كبيراً .

أما وقد بلغنا هذه النقطة ، فإن تباين المدارس الشعرية ، والتطور الذي حدث منذ ١٩٥٦ لشعراء أكبر سناً - ومنهم الكسندروات (المولود في ١٩٠٠) وهو شاعر كبير الموهبة ، مستقبلي قديم - عاودوا البدء بالنشر بعد سنوات من الصمت ، وتأثيرات الشعر الأنكلو - سكووني ، والروابط مع مسرح الطليعة ، وقبل كل شيء عدم ثبات المواسم السياسية ، أمور تضطرنا إلى تنبؤ هو ميدان النقد الأدبي . وأوثر أن أتوقف هنا . أو لم أجعل الدور الجميل جداً للتاريخ ؟ إني آخذ ذلك على نفسي الآن . لأنه بالنسبة إلينا نحن الذين نقرأ هذا الشعر في أصله يتأكد الشعور بأنه إذا كان مختلفاً عن أي

شعـر آخـر ، فذلـك أولاً لاصراره على أن يحمي غنـائيتـه الـرعوية وحسيته الطفلية الرعناء ، واعتقاده بأنه على الرغم من كل شيء يحيا حياة طيبة على الأرض وهكـذا يبـدو لنا مرحاً يتغنى بالأشجار والأنهار ورقصات العاشقين في آثـار القـرنـين السـادس عشر والسابع عشر وبعد في « بان تادوسز » لميكيويكز وعنـد الابداعيين من أقصـر قامـة ، هو شعـر قلبي ، كتب عليـه أن يلتصق بواجبـات ربـما كانت حطمت أكثر من شعـر آخـر غيره من أحسن الأشعـار إعـداداً ومـع ذلـك فإن هذا التحـدي قد رفعـه عاليـاً ، وإن لغـة القصـاص القـرويـين ذات الخصب الـذي لايعـرف الهم ، لغـة القلب لا الدماغ ، قد جددت بألف صورة قبـل أن تكتشف حقيقـة مميـزتهـا السـريـة القـائمة على إيجـازات باهـرة ، وعلى أخيلة لاهية ، وإذا قصرً جناحاها عن التجريد فإنها قد عوضت عنـه بما هو خير ، بمـوهبـة تكـاد تكون سحرية من تحرك المفاهيم بالألوان والطعوم والروائح .

إن سلسلة الكـوارث السيـاسية التي تعاقبت دون انقطاع منذ مئتي سنة وجـدت ترجمتهـا لافي الـرسـالة السياسية ، ولكن في الشعر . كان المؤلف في الحقوق الشرعية في بولونيا يفتنه الشعر غالباً ولكن الشاعر عرف ألا ينحدر إلى الصحافة حتى حين كان يعالج قضايا معقدة . كان اصطفاء الشعوب الأزلي وجـدل التقدم والنضال ضد كوارث الطغيان الأوربية ومستقبل حضارة البحر المتـوسـط - كل ذلـك كان يحثـه على قفـزات جديدة في الفضاء وفي الزمن . ولكن الرغبة في أن يصل إلى الغنائية الصافية بقيت غير محسوسة في الشعر ، برغم الـواجبـات غير المعـدودة التي تكبـدهـا فوق ذلك بطيبة نفس . ماأكثر الآثـار الأدبيـة التي لايمكن أن يتصـور أو يخمن في أي ظروف قاسيـة قد رأت النـور . وتـرد إلى خاطـري الآن بصـورة خاصـة كل الخصـوص ، القطعـة

الشعـريـة التي كتبها أثنـاء الحـرب الأخـيرة جنـدي المقـاومة الشاب تادوسز غاجكي (١٩٢٢ - ١٩٤٤) قبل موته بقليل عن هومير وهو أعمى .

ألا يعـاني شعـر اليـوم في كل مكـان ، من انكماش ، ومن فقر في معناه الانساني يتطلب أقل قدر من التماس مع الآخرين ، في الغضب أو في الأمل - فذلـك لا يهم إلا قليـلاً - إذا أراد أن يبقى حياً وأن يزدهر ؟ إن الشعر البولوني الـذي استجـاب لنداء التاريخ أكثر من مرة ، ربما كان الدفاع عنه أحسن من الشعـر الغـربي ضد الهزال المجاعي الحالي . إن عدم التراجع أمام الصعوبة الكبرى للواجبات هو جهد لا يمضي دون أن يترك آثاراً . وكل نص مهما كان شخصيـاً فإنـه يظهـر الاهتمام بالمخلوقات الانسانية الأخرى ، وحينئذ يصبح ممكنـاً مايميـز ، في رأيي ، هؤلاء الشعـراء البـولـونيـين المعـاصـرين الـذين أحبهم ، وهو : الزهد ، والتهكم والبساطة

الرّومانسيّة الحَزينة
تزحَف عَلى الأدبُ المعاصر

فريدريك ميسترال ترجمة: خليل شطا

عن الفرنسيّة

منحت أكاديمية السويد جائزة نوبل في الآداب للشاعر الفرنسي فريدريك ميسترال في العاشر من كانون الأول عام ١٩٤٠ ، وذلك لسموّ أفكاره وجمال شعره . ولأنه بلغ أواخر حياته ذروة الفنّ والابداع . فقد نذر عمره كلّه في سبيل فكرة سامية ألا وهي إعلاء شأن مسقط رأسه البروفانس ونشر لغته الجميلة ورفعها الى مصافّ اللغات العظمى .

ولد ميسترال في الثامن من ايلول عام ١٨٣٠ في قرية مايان الواقعة بين مدينتي أفينون وآرل ، مقابل وادي نهر الرون . لقد ترعرع شاعرنا في أحضان هذه الطبيعة الرائعة فأحبها حبّاً نفذ الى شغاف قلبه ، فلا غرو اذا تغنّى بجمالها طوال حياته .

كان والده فرانسوا ميسترال يعيش عيشة بذخ ويدير أعماله بحذقٍ متمسكاً بأخلاق آبائه وأجداده ، وكانت والدته تهدهد روحه بأناشيد البر وفانس الحلوة وتقاليدها العريقة .

إطلع ميسترال أثناء دراسته الثانوية في افينون على آثار هوميروس وفرجيل ، ولقد أثّر هذان الشاعران في نفسه تأثيراً عظيماً ، كما أوحى اليه أحد أساتذته الشاعر رومانيل بحبٍ شديد للغته الأُم لغة البر وفانس الجميلة .

بعد أن حصل فريدريك ميسترال على إجازة الحقوق استجابة لرغبة والده ، سرعان ما انصرف الى نظم الشعر ليتغنى بجمال بلاده الرائع ، مستخدماً لغة البر وفانس المحلية . كانت أول محاولة شعرية نشرها تصف الحياة الريفية في جميع مظاهرها ، ثم كتب قصائد جميلة تتغنى كلّها بمفاتن البر وفانس . وأخيراً خلال ستّ سنوات متتالية عكف على تأليف ملحمته « ميراي » التي وطّدت شهرته العالمية .

حين طالع الشاعر الفرنسي لامارتين ملحمة « ميراي » هتف قائلاً : « حقاً لقد ولد شاعر عظيم ! » ذلك لأنّ هذه القصيدة تمتاز بجمال جرسها وحسن تأليفها ودقة وصفها ، وهي لاتعتمد على التحليل النفسي وسبْر أغوار النفس البشرية ، ولكنها تروي لنا قصة عاشقين وتصوِّر لواعج الحُب تصويراً رائعاً ينبض بالحياة .

يحكي لنا الشاعر في هذه القصيدة الطويلة التي تنطوي على اثني عشر نشيداً قصة فتاةٍ طيبة القلب رائعة الجمال أخفقتْ في حبّها لشاب فقير الحال ،

وذلك بسبب تعنت والديها ، فهربت يائسة من منزلها لتموت في كنيسة مجاورة شهيدة حبّها الطاهر ، والى جانب ذلك يصورّ ميسترال منطقة البر وفانس تصويراً رائعاً وشاملاً كما يصف عاداتها القديمة وحياتها ، بحيث تجد أمامك صورة حيّة لكلّ ما يمت الى منطقة البر وفانس بصلة ، وهو يفعل ذلك ببساطة جديرة بهوميروس محتفظاً مع ذلك بأصالته وشخصيته ، إذْ تهبّ على لوحاته نفحةٌ علوية تسمو بنا الى عالم الشعر والجمال .

أنظرْ إليه يصف الخيول البيضاء في جزيرة الكامارغ وهي تغْدو خبباً وعرْفُها يتطاير في الهواء وكأنها أفلتت من عربة إله البحر ، فإذا ما ابتعدتْ عن مراعيها عنوةً وظلماً هربت وعادت الى هاتيك السهول العزيزة التي ألفتها تحييها بصهيلها المفرح :

– إنَّ خيول الكامارغ اذا ماشقَّ جوانبها المهماز الحادّ والمؤلم ، أو لامستها الأيدي الخفيفة والناعمة لتلقي بها الى ديار الغربلا ، وجدتها تعدو مسرعة تقطع المسافات الشاسعة لتعود إلى مراعيها المألوفة ولو مضى على ذلك عشر سنوات ، ذلك لأنَّ هذه الخيول تعشق البحر وتخلص لأصحابها ، فأين منها بنو البشر الذين يتنكرون لأصدقائهم وينسون أوطانهم !

يُهدي ميسترال قصته الرائعة إلى الشاعر الفرنسي لامارتين بهذه العبارات : « أهديك « ميراي » ؛ إنّها عُصارةُ قلبي وروحي ، بل هي زهرة عمري ، إنها حبّة عنبٍ قُطفتْ من مقاطعة « كرو » في البر وفانس يُهديك إياها أحد القرويين مع جميع أوراقها . »

ثم يبدأ نشيده الأول قائلا :

« إنّي أتغنّى بجمال فتاة من البر وفانس قامت بمغامرة حبٍ وهي ماتزال في ريّق العمر . إنّها تسكن منطقة « الكرو » القريبة من البحر ، وأنا كتلميذٍ متواضع لهوميروس العظيم عقدتُ العزم على أن أتتبّعها خطوةً فخطوة . إنّ

جبهتها تتألق بنضارة الشباب وحدها وإنْ كانت لاتزهو بتاجٍ ذهبيّ أو برداء من الدمقس فلقد صممتُ على رفعها الى سُدَّة المجد كملكة ، وعلى أن تداعب روعتها لغتُنا المحلية المتواضعة فأنا لا أنشد الشعر إلا من أجلكم أيها الرعاة ، ياسكان البيوت الريفيّة .

على شاطىء الرون ، بين أشجار الحور وأشجار الصفصاف المنتصبة على ضفة النهر في بيتٍ متواضع تأتكله المياه . كان صانعُ سلالٍ يسكن . وهو ينتقل مع ولده من مزرعة الى أخرى ليُصلح السلال المتقطعة والقفف المثقوبة .

وفي ذات يوم ، فيما كانا يقطعان الحقول وهما يحملان ربطةً طويلة من أغصان الصفصاف الغضَّة الليّنة قال فانسان :

« ياأبي ، أنظر الى الشمس كيف تحجبها الغيوم ، فإن تلبدت هذه الغيوم قبل وصولنا الى غابة « الميكوكول » بلّلتْنا مياه المطر . » فأجاب الوالد :

« كلا ! . . لاخوف من المطر اليوم »

كانت الشمس تغيب وراء التلال ، فتلون هاتيك الغيوم الخفيفة بأبهى الألوان بينما كان الفلاحون يعودون ببطء ، وقد رفعوا مهاميزهم ، لتناول طعام المساء ، وهم يمتطون حيواناتهم المقرونة الى بعضها بأعناقهم ، وإذا بالليل يخلع وشاحه المظلم على تلك المستنقعات .

– هيّا بنا ، قال فانسان وقد لمح من بعيد أعلى قمّة التبن هاقد وصلنا الى الملجأ ! هنا تعيش النعاج سعيدة هانئة ،فهي تسرح في غابة الصنوبر صيفاً ، وفي السهل الكثير الحصى شتاء ، إنك تجد هنا كل شيء .

– في هذه الارض كلّها ، ياوالدي ، تُعجبني ابنةُ صاحب المزرعة أكثر

من أيّ شيء آخر . هل تذكر ، ياوالـدي ، انهـا كلفتنـا في الصيف الماضي بصنع سلتينْ للزيتون المقطوف كما كلفتنا بوضع مقبضٍ لقفتها ؟

وفيما كانا يتحدثان وجد نفسيهما عند الباب وكانت الصبية قد أطعمت دود القز بعض الأوراق ، واتجهت نحو مدخل البيت لتبرم ربطة خيوط .

- مسـاء الخـير جميعاً ، قال ذلك صانع السلال وقد ألقى على الأرض حزمة الخيزران

- مساء الخير ، ياسيّد أمبر واز ، قالت الفتاة ، كنت أستعد للغزل كما تزون ! . . . لقد وصلتما متأخرين .

- بما أنّ الليل قد أدركنا فلسوف نبيت الليلة مفترشينْ كومة التبنْ .

لم يبلغ فانسان بعد السادسة عشرة من عمره . كان غنيٍ وسيماً ، قويّ البنيـة وطـويـل القـامـة ولا غرو ، فالـتر بـة السوداء تنبت دائماً الحنطة الجيدة وتستخرج من العنب الأسود خمرة تلعب بالرؤوس .

وخرجت ميراي في صباح اليوم التالي من دارها لتضع الطعام مع خسّ السلطـة على المـائـدة الحجـريـة ، بينما كان الشيخ مع ولده يضفران أغصان الصفصاف ، فدعاهما صاحب المزرعة السيد رامون قائلاً :

- أما تريان النجوم قد ظهرت في كبد السماء ، وأنتِ ياميراي ، أجلبي قصعةً ، هيّا الى المائدة ، إنكم تشعرون بالتعب ولا ريب .

- هيّا ، قال صانع السلال .

وتقـدم مع ولـده نحـو زاويـة المـائدة الحجرية وكسرا قطعةً من الخبز ، وتبلتْ لهما ميراي صحنـاً من الفـول الصغـير مع زيت الـزيتـون ، وأقبلت برشاقةٍ ولطف تحمل إليهما الصحن بكلتا يديْها .

كانت ميراي في الخـامسـة عشـرة من عمـرهـا . . فيا سهول مقاطعة / الكرو / هل رأيت فتاةً جميلةً في مثل هذا الجمال ! الشمس المرحة هي التي

أبْرزَتها الى الوجود ، فبدت طلقة المحيّا ، صافية القلب بوجنتيها الورديّتينْ وأنفها الأشمّ .

إنَّ نظراتها كنظرات الندى ، سرعان ماتبدد الهموم والأحزان . . شعاع النجوم أقلّ عذوبةً وأقلّ صفاءً من هذه النظرات تنسدل على كتفَيها جديلتان سوداوان مجعدتان ، صدرها أشبه مايكون بحبّةٍ مزدوجة من الدّراق لم تنضج بَعْدُ ، إنها تبدو لعوبةً ومرحة تفيض حيويةً ونشاطاً .

أخذ كلٌّ من الحاضرين يتحدث عن عمله كالعادة ، ثمَّ طلب القرويّون وميراي من السيّد أمبرواز أنْ يُنشدهم بعض أناشيده الجميلة ، فلبّى طلبهم بعد أن أفرغ كأسه الملئ بالخمرة المعتقة ، وشرع يغنّي نشيداً يروي فيه كيف تغلب الفرنسيون على الانكليز برباطة جأشهم وقوّة مدافعهم التي كانت تدوي بشدّةٍ فتملأ الدنيا لهيباً وهديراً .

ومضى الفلاحون الى المشرب لسقي حيواناتهم وبقيت ميراي وحدها وهي ماتزال تضحك ، بقيت مع فانسان ، ابن السيِّد أمبرواز . كانا يتكلّمان معا فينحني رأسُ كلّ منهما نحو الآخر ، وإنهما ليشبهان وردتين أحْنتْهما نسماتٌ رقيقة . .

- كم أنا أغبطك يافانسان ، وأنت تحمل حزمَكَ الصغيرة على ظهركْ تجوب الآفاق من أجل إصلاح السلال ، فتشاهد أثناء تجوالك القصور القديمة والأماكن الأثرية والبلاد المختلفة . أمّا نحن فلا نغادر البتة منازلنا ، قالت له ذلك ميراي .

- صحيح ماتقولين ، ياآنسة أجاب فانسان ، ولكن لايغرب عن بالك أنّ السعي وراء العمل يتطلب مشقةً عظيمة ، ومع ذلك فإنَّ للأسفار متْعتها وروعتها .

ثمَّ شرع يقصّ عليها سباقاً في العدْوِ اشترك فيه وكان المجلّي بين المتسابقين ، وأصغتْ ميراي الى حديثه الجذاب بقلبها وروحها .

النشيد الثاني

قطاف أوراق شجر التوت

كم يحلو الغناء وقت القطاف ! وكم هو جميل دود القزّ ! إنَّ أشجار التوت مثقلة بالفتيات المرحات اللواتي يقطفن الأوراق ليقتات بها دود القزّ . فهنَّ يشبهن جماعة النحل وهي تجني العسل من أشجار « إكليل الجبل » .

كانت ميراي تقطف الأوراق ذات صباح من شهر أيّار وقد تدلّت من أذنيها حبتّان من الكرز بمثابة أقراط . وفي هذه الصبيحة بالذات مرَّ فانسان هناك ثانيةً . إنّه يحمل على قبعته القرمزية ريشة ديك ، وإذا بميراي تهتف قائلة :

-مابالك ، يافانسان تمرّ مسرعاً في الممرات المخْضَوضرة ؟ فاستدارفانسان نحوها ، فوجدها جاثمة فوق شجر التوت ، فطار اليها فرحاً قائلاً :

- أتريدين مساعدة ياميراي ؟ فأجابته فرحة متهلّلةً :

- بكلّ سرور !

وإذا به يتسلّق الشجرة ويساعدها في قطف الأوراق . وفيما هو يتحدث عن أسفاره وعن والدته ، سألَته الفتاة :

- أينَ تسكن والدتك ؟ سكت الفتى لحظةً ثم قال :

- لقد توفيت ! . واستطرد قائلاً : حينما كانت فانسانيت معنا ، كانت تقوم بأعمال دودة القزّ على أحسن وجه !

- ولكن ، ماذا يافانسان ؟ هل لك أخت ؟
- إنها تعمل كخادمة منذ وقتٍ طويل ، عند جماعة من الحصّادين .
- تُرى ، هل تشبه أختك ؟
- مَنْ ؟ أنـا ؟ . . . شتّـان بيني وبينها ! إنّها شقراء ، وأنا كما ترين ، شديـد السمـرة ، ولكن هل تعلمين بمن تذكرني ؟ إنها تذكرنَي بك ، بتوقّد ذهنهـا وغـزارة شعـرهـا ، حتى ليقـال إنكـما توأمـان . ولكنّها لاتضاهيك في تصفيف شعـرك . صحيحٌ أنَّ أختي جميلة ولكنـك أكثر منهـا جمالاً ! وقالت الصبيّة بخجل وخفر :
- أصحيحٌ أني أجمل من أختك ؟ وكيف ذلك ؟
- ياإلهي بأيّ شيء يتميـز الحسّـون عن غيره من الطيـور ، إن لم يكن يرمز الى الجمال ، كما يتميزّ بتغريده ورشاقته !
- كفاكِ مبالغةً يافانسان !
- إنَّ عينيْ فانسـانيت زرقـاوان وصـافيتان صفاء مياه البحر . . أمّا عيناكِ السوداوان فمصباحان إذا أثير نحوي ملأ انفسي ضراماً كنت أجد متعـةً في سماع صوت أختي العـذب حينـما تنشـد ، أمّا أنتِ فأقلّ كلمة تصدر منـك تشنف أذني، وتبعث الـوجد في قلبي أكثر من أي أنشودة . لقد صهرت الشمس المحرقة عنق أختي كما صهرت وجهها ، أمّا أنتِ فلا تقوى الشمس على مداعبة جبهتك البيضاء ، ماتزال أختي نحيلة الجسم كالفراشة التي تحوم فوق الساقية ، أمّا أنتِ فمثال اللطف والرشاقة . فاحمرّ وجه الصبية خجلاً وقالت :
- كفى ! كفى ! يافانسان !

وهكـذا اختفى العاشقان تحت الأغصان الملتفة يتناجيان ويبث أحـدهما للآخـر حديث الحبّ والغـرام . وأخـذ فانسـان يساعدها في قطف

أوراق القـزّ ووضعهـا في الكيس ، فإذا باليد البيضاء واليد السمراء تتلامسان من حسن الحظّ ، فتتورد وجنة ميراي خجلاً . ومالبث أن صاحت قائلةً :

– أنظـر الى هذا العشّ الجميـل ، ليتنا نحصل عليه ، ذلك لأنً المثل يقول : « إذا وجد فتى وفتاة عشاً على أعلى الشجرة فلا يمضي عليهما العام دون أن يكـونـا قد اقترنا بالرباط المقدّس ، وإذا بالغصن ينقصف تحتهما ، فأطلقت الفتـاة صرخـة ذعـر ، وضمّت فانسـان بذراعيها وسقط كلاهما على الشيلم الطريّ . أيتها النسمات هبّي برفقٍ على العاشقين ، ودعيهما يتمتعان بأحـلام السعـادة والهناء ! وأنتِ ايتها الساقية ترقرقي رويداً رويداً ولا تحدثي نأمةً في مجراك واتركي هاتين الروحين تنطلقان الى السموات العلى المرصّعة بالنجوم !

وبعدها قالت الفتاة :

– هنـاك شيء يقلقني ويقضّ مضجعي ويحملني على جنـاح الخيـال والأحـلام ، بل أنـا لم أعـد أطيق له كتـمانـاً ، إنني احبـك حباً عظيـماً يافانسان ! . . . فأجاب الفتى على الفور :

– هل تسخـرين مني ، يامـيراي ؟ أنتِ المليكة في هذه البقاع تريدين أن تصبحي زوجة لرجل مسكين مثلي !

– معاذ اللّه يافانسان ، إذا رفضت حبّي هذا ، فاعلم أنّك تسبب لي من الأحـزان والآلام مالا أقـوى على احتـماله ، فأنا لايهمني أن يكون حبيبي سيّداً نبيلاً أو عاملاً بسيطاً .

– تأكدي ياميراي ، اني أحبك حبّاً عنيفاً ، بحيث اذا قلت لي :
« أريد نجمة السماء ، فلا البحار والغابات والنار ولا الحديد تحول دون ذلك ! هناك في أعالي الجبال الشاهقة التي تنطح السماء ، فسأذهب لأخذها

وغداً ترينها معلقةً على عنقك ! وأنا كلما تأملتك ازددت بك تعلقاً وافتتانا . .

النشيد الثالث

انشودة « ماغالي »

ياحبيبتي الغالية !

أذاعت احدى الفتيات حبّ ميراي لفانسان فأخذت رفيقاتها يسخرن منها وانبرت احداهنّ واسمها نور تغنّي انشودة « ماغالي » ياحبيبتي الغالية ! :

-« ياماغالي ، ياحبيبتي الغالية . أسندي رأسك الى النافذة !

أصغي قليلاً الى تحية الصباح بالطبول والكمنجات »

- « السماء هناك عالياً مرصّعة بالنجوم .

لقد سكنت الريح ،

ولكن النجوم تصبح شاحبة اذا مارأتك »

- « أنـا لا أهتم بتحيتّـك الصبـاحية كما لا أهتم بهمسات الأغصان . ولكني ذاهبة الى البحر لأجعل نفسي سلّورة تحت الصخرة » !

- « ياماغالي إذا كنت سمكة البحر ، فأنا صيّاد اصطادك ! »

- « آه ! اذا كنت صيّـاداً ، حينـما تلقي شبـاكـك ، فأنا عصفور أطير الى الأراضي البور » .

- « ياماغالي ، اذا كنت عصفور الفضاء ، فأنا صيّاد أقتنصك ! »

- اذا أتيت لتنصب أحبـولتـك ، فأنـا العشب النضـر ، اختبىء في المروج الواسعة .

- ياماغالي ، اذا كنت زهرة الربيع - فأنا الماء الصافي - أسقيك .

- اذا كنت ماء صافياً - فأنا السحابة الكبيرة ، أذهب بسرعة على هذا النحو - الى أمريكا ، هناك بعيداً جداً !

- ياماغالي ، اذا ذهبت الى بلاد الهند البعيدة - فأنا البحر أحملك !

- اذا كنت ريح البحر ، هربت من ناحيةٍ اخرى !

- أنا منفذ لاهب للشمس المحرقة التي تذيب الجليد !

- ياماغالي ، اذا كنت ضياء الشمس - أنا الحرذون - اتجرعك -

- إذا كنت السمندر - الذي يختبيء في الأجمة - فأنا بدر السماء الذي ينير السحرة في الليل !

- ياماغالي اذا كنت قمراً مشرقاً فأنا ضباب جميل أغطيك .

- ولكن اذا غطاني الضباب - فلن يقبض عليَّ . أنا الوردة الجميلة العذراء - انفتح في الأدغال !

- ياماغالي ، إذا كنت الوردة الجميلة - فأنا الفراشة تقبّلك

- اذهب ، بل اركض ، واركض !

- ولكنك أبداً لن تدركني . أنا أرتدي في الغابة المظلمة قشرة سنديان كبيرة .

- ياماغالي ، اذا كنتُ شجرة ضخمة ، فأنا شجرة اللبلاب - أعانقك !

- ياماغالي اذا كنت المرأة المسكينة الميتة ، فأنا الأرض استطيع أن أمتلكك .

النشيد الرابع
طالبوا الزواج من ميراي

حينما تشتهر احدى الكونتيسات بالجمال لاتعدم من أشخاص يتقدمون لطلب يدها . فقد جاء الى غابة « الميكوكول » ثلاثة من هؤلاء الرجال

وهم : صاحب الخيــول - وراعي البقــر - وراعي الغنم ، وثـلاثتهم على جانب كبـير من الجـمال . يقـال ان الراعي الآريّ يملك ألف رأس غنم وقد طلب يدها وقدّم لها كأساً من شجر البقس نقشه بيده في أوقات فراغه خصيصاً لها ، فقـالت له ميراي : « حقـاً أيّهـا الـراعي ، إن تحفتك تلفت الأنظار ! » لقد انصرفتْ وهي تقول : « لا أمّا الشخص الذي أحبّه فهو يملك أجمل من هذا ، فهو حينما يوجّه أبصاره إليَّ بحبٍ ولهفة لاأقوى على أن أنظر اليه وجهاً الى وجـه ، وأشعـر برعشـة تسري في نفسي وتملؤها فرحاً وهناء » ثمَّ توارت الفتـاة ومضى الـراعي الآريّ وقلبـه يفيض بالحـزن والأسى ، ذلك لأنَّ هذه الجميلة تحبّ غيره .

أمّـا / فيران / فقـد كان يملك مائـة حصان أبيض ، وحينما طلب يد الفتاة رحّب الوالد بهذه الفكرة ، ولكنَّ الفتاة عراها شحوب مفاجىء وطالبت بحقها في التفكير في هذا الموضوع الخطير .

وأتى أوريراس راعي البقر ومروّض الثيران يتودد إليها فرفضته بلطفٍ ولباقة .

النشيد الخامس

المعركة

لم يكن اوريراس لينَسْى رفض ميراي له فتلك إهانة لاتُغتَفَر . لقد عاد هائجاً مغتـاظـاً ، كان فنسـان الجميـل يعود في الطريق نفسه ، وهو يفكرّ في الكلمات الـرقيقـة التي قالتهـا له ميراي اللطيفـة ذات صبـاح تحت شجـرة التوت ، كان يسير وأمارات السعادة والهدوء باديةٌ في عينيه ، كانت النسمات الـرقيقـة تتغلغـل في سترتـه المفتـوحة وهو يسير على الشاطىء حافي القدمين

برشاقة ومرح مفكّراً في اللحظات السعيدة التي كان يعيشها بصحبة ميراي . . في ذات ليلة زحف لها فانسان ووشوش في أذنها قائلاً :

– ياميراي ، اسمحي لي بأن أقبلك قبلةً واحدة ! فأنا ميراي لاأفكرّ في الطعام وفي الشراب لشدة مايشغلني حبك ياميراي ! كم أودّ أن أخفي في، دمائي نفسك الذي تختلسه الريح مني ! قبلة واحدة وأموت بعدها . . . وما أن جذبها الفتى اليه بعنفٍ ليقبلها حتى أءفلتت منه ضاحكة .

في ذات مساء التقى هذا الفتى بأورياس في مقاطعة « كرو » فبادره هذا الأخير قائلاً : – أنتَ خدعت ميراي ، أيها الحقير ، وسيطرت على قلبها . قلْ لها أنّي لم أعد أفكرّ في وجهها القبيح ولا في ثيابك المهلهلة – فانتفض فانسان لهذا الكلام ، وتنبه كألسنة اللهب ، وقفز قلبه كسهم ناري ينطلق بقوةٍ :

– في وسعي أنْ أقضي عليك بضربة واحدة ، ياسافل ! وانقضّ على خصمه وسدّد لكمةً قاضية على صدره وألقاه على الأرض صريعاً ، وهو يقذف الدماء من فمه ، ثمّ تمالك نفسه وامتطى حصانه وانصرف ، وفيما هو يسير خطرت له فكرة لعينة ، فعاد الى فانسان لينقض عليه وطعنه طعنة نجلاء ، فتدحرج فانسان على العشب مضرَّجاً بدمائه

النشيد السادس

الساحرة

عند الفجر وجد ثلاثةُ رعيان فانسان ممدَّداً في صحراء « الكرو » ومضرّجاً بدمائه فحملوه بأذرعهم الى غابة « ميكوكول » ولدى وصولهم قالوا للسيد رامون :

- صباح الخير ! لقد وجدنا هذا الشاب المسكين هناك ملقى على الأرض البور ، أجْلبوا لنا قطعة قماش ناعم ، لأنَّ جرحه ثخين .

وما سمعت ميراي بهذا الخبر المشؤوم حتى هرعت إليه مذعورةً وقالت له :

- ماذا فعلوا بكَ ، يافانسان ؟ ثمَّ نظرت اليه واجمة ، وقد اغرورقت عيناها بالدموع ، فلّما رآها فانسان قال لها بصوتٍ خافت :

- رحماك ، ياميراي ، إني في حالةٍ يرثى لها . فأعطته شراباً منعشاً فقال لها فانسان :

- كافأكِ اللّه عني خيراً ! إنَّ وجهك الحزين يؤلمني أكثر من جرحي !
وأخذت ميراي تغسل جرحه بحزنٍ وأسى ، وذهب القرويّون ليحملوا اليه الأعشاب الطبية ، ثم حملوه الى الساحرة لتخفف من آلامه .

النشيد السابع
الشيوخ

صانع السلال العجوز وولده يجلسان أمام كوخهما ، كان فانسان يقول لوالده :

- أقول لك ياوالدي وأعيدها ثانية ، أنا أهيمُ بها . هل تظنّ أنّي لا أحمل هذا محمل الجدّ ؟

كان الوالد جالساً على جذع شجرة بينما يجلس ولده القرفصاء ، واشتركت فانسانيت في الحديث ، لتحمل والدها على أن يذعن الى إرادة ابنه . وقال فانسان لوالده :

- ياأبي ، اذهب الى غابة ميكوكول ولا تتأخر في أن تذكر لأهلها كلَّ شيء ، قلْ لهم إنه يجب الاهتمام بصفات المرء أكثر من الاهتمام بضيق اليد ،

كما أني استطيع تقليم براعم الكروم وحرث الأرض الكثيرة الحجارة ، قلْ لهم أيضاً ان الستة الأزواج من البقر التي يملكونها سوف يتضاعف حفرها للأرض إنْ كنت أقودها قلْ لهم إني رجل يحترم الشيوخ ! قلْ لهم انهم اذا مافرّقوا فيما بيننـا فإنّهم يغلقـون قلبينـا الى الأبـد ، فهم يدفنوني ويدفنونها معاً . فقال له السيّد أمبر واز :

- إنّك تتصرّف تصرّف شاب غرّ ، هذا أمر واضح .

لقد أصرَّ الابن قائلاً :

- يجب أن تكون لي ، فأنا لاأستطيع العيش بدونها .

فوقف الوالد وارتدي أفضل ملابسه واضعاً قبعته الحمراء على رأسـه ومضى نحـو مقـاطعـة / الكرو / ، فاستقبله السيّد رامون بترحاب ، وقدّمت له ميراي بعض الشراب والطعام . بدأ السيّد أمبر واز حديثه قائلاً :

- لقـد أتيتُ يارامـون لأستشـيرك في موضـوع هام ، أنت تعلم أنَّ لي ولـداً أبـدى حتى الآن حكمـةً نادرة ، ولا ريب . هل تعلم ماذا فعل هذا الشـاب الـذي يعيش في عالم الأوهـام ؟ لقد أحبَّ ابنةً من أسرةٍ غنية ، وهذا الأحمق يطمح في أن يتزوّجها ، يريد أن تكون له وحده ، ولقد بلغ من اليأس والحبّ درجة سببت لي الخوف والقلق . وعبثاً حاولت أن أبين له جنونه ، وأنْ أذكره بأنه شاب فقير معدم يجدر به أن يُعرض عن فكرته هذه . فأجابني على الفور :

- اذهبْ بسرعة وقلْ لأهلها اني أريدها مهما كلّف الأمر وأنَّ ما أتمتّع به من صفـات يحدوهم الى صرف النظـر عن فقـري . فقـلْ لي ماذا يجب عليَّ عمله ؟ أجابه رامون :

- لاتخف يا أمبر واز ، لن يصاب أحد بأذى ، لا ابنك ولا فتاة احلامه .

وإذا بالفتاة العاشقة يمتقع لونها وتقول بانفعال :

- إنّك بذلك تقلقني ، ياوالدي . ما أنا إلاّ تلك الفتاة التي يحبّها فانسان ، وأقولها أمامك : « لن آخذ غيره ! . . » فخيّم صمت مطلق ، فأجابتها أمها للحال :

- إن ماقلته ياابنتي إنّما هو إهانة تصيبنا جميعاً وتملؤ نا خزياً وعاراً ، بل هو شوكة طعنت قلوبنا . لقد رفضتِ الراعي الآري الذي يملك ألف رأس غنم ، ورفضت فيران ، صاحب الخيول ، ورفضت أورياس راعي البقر ، وذلك بتصرّفاتك الخرقاء التي تنّم عن احتقار أورياس مروّض البقر ، وإذا بفتى فاسد وحقير يتمكّن من إغرائك ! اذن ! اذهبي أيتها المتشردة مع فتاك المعدم الصعلوك لتطوفي الحقول ولتتناولي طعامك على قارعة الطريق !

وأضاف السيّد رامون ، والشرر يتطاير من عينيه وهو يضرب بيده على مائدة الطعام :

- إنَّ والدتك على حقٍ فيما تقول ، اذهبي . ولكن كلا إنك باقية هنا . حتى ولو اضطررت إلى ربطك بقيود ، حتى ولو سقطت عليَّ نيرانُ السماء ! تأكدّي أنّك لن تريه أبداً . .

وكانت ميراي تسكب الدمع كقطرات الندى أو كعنقودٍ ناضج تتساقط حبّاته عند هبوب الريح لؤلؤة لؤلؤة .

لقد ثار أمبر واز لدى سماعه أقوال السيّد رامون المحقرّة فقال :

- ياالله إذا لم أكن ذا سعةٍ ولم تُسعد الحال فإنَّ قلوبنا تطمح نحو العلاء فما كان الفقر أبداً رذيلة ، وما كانت الفاقة عاراً !

النشيد الثامن

منطقة « الكرو »

مَنْ يوقف اللبؤة الهائجة اذا ماعادت من عرينها ولم تجد شيئاً ؟ فهي تُجري فوق الجبال مزمجرةً بقامتها . ومن يوقفكنّ أيتها الفتيات العاشقات ؟ . . ترقد ميراي في غرفتها الصغيرة وهي تبكي طوال الليل وقد ضمت يديها على جبهتها تسائل نفسها في حيرةٍ وأسى عمّا يجب أنْ تفعله .

« يالـلأقدار القاسية التي حكمت عليَّ بالسأم والملل ! ويأيّها الوالد القاسي الذي يدوسني بقدميْه . آه ، لوكنت ترى قلبي كم يقاسي من الأحزان والآلام لأشفقت على ابنتك ! أنتَ الذي كنت تدعوني صغيرتك المحبوبة ، إذاً لو افقت على زواجي من فانسان . آه ، ياحبيبي فانسان ليتني أستطيع أنْ أعيش معك وأعانقك من صميم قلبي فتكون لي قبلاتك اللطيفة طعاماً وشراباً ! » ثم حزمت ميراي ثيابها وانطلقت كالريح في تلك الليلة المظلمة الرهيبة . . .

النشيد التاسع

الاجتماع

لقد غمر الأسى الوالديْنْ فجلسا في غابتهما يفكران في أحزانهما وآلامهما بعد غياب ابنتهما ميراي ، إلى أين قادك هذا اللصّ المجرم ، ياميراي ؟ كانا يهزان معاً جبهتيهما اللتين تنمّان عن الحذر والريبة ، وإذا بالشيخ يستدعي جميع عمّال المزرعة من صيّادين ومبيسي الكلأ والرعاة ويجمعهم في البيدر ، وانطلقوا جميعهم يفتشون عن ميراي .

النشيد العاشر
منطقة الكامارغ

اجتازت ميراي نهر الرون في زورق اندريلون وتابعت رحلتها نحو الكامارغ . كان الزورق يشقّ عباب الماء يقوده الفتى أندريلون ، وكانت ضفاف النهر تعكس أشجار الحور والصفصاف الضخمة ، بينما تنساب مياه النهر بهيبة وجلال . لقد قفزت الفتاة الى الشاطىء وأخذت تجري وتجري تحت أشعّة الشمس المحرقة قاصدةً كنيسة مجاورة علّها تجد فيها العزاء والسلوان .

النشيد الحادي عشر
القديّسات

ظهرت لها بعض القديّسات وأخبرنها كيف قذفتهنَّ الأمواج بعد وفاة المسيح الى شواطىء الرون . وما لبثن أن قلن لها : « وداعاً ، ياميراي ! فنحن ذاهبات الى السماء لنُعِدَّ لك مكاناً هناك حيث تقيم العذارى ، شهيدات الغرام .

النشيد الثاني عشر
الوفاة

كانت ميراي جاثيةً عند مدخل الكنيسة يشعّ وجهها بهاءً وطهراً . لقد فتّشن عنها والداها زمناً طويلاً حتى اكتشفاها ، دخلا الكنيسة بدهشة وخشوع ، فما ان رأتها والدتها حتى هرعت إليها ووجهها مبلّل بالدموع .

وأمسكتها بكلتا يديها وهي تقول : « مابكِ يابنيتي ؟ انَّ جبهتك تشتعل ناراً . . ياإلهي هل أنا في حلم أم في حقيقة ؟ » ويقول لها والدها : « هل عرفتني ياميراي ؟ أنا والدك جئت اليك من بعيد لأمتع ناظري بوجهك اللطيف . » وأخذ يقبل يديها بلهفةٍ واشتياق ، وسرعان ماوصل فانسان شاحب اللون مذعوراً وقد رآها في النزع الأخير . لقد وقع بصرها عليه فقالت له بصوت منخفض : « من أين أتيت ياصديقي الجميل ؟ قلْ لي هل تذكر يوم كنّا نتحدّث هناك في المزرعة ، في ظلّ الأشجار ، ياعزيزي فانسان ، ليتك ترى داخل قلبي كم يفيض بالفرح والعزاء ! إنّي أرى جوقة الملائكة آتيةً من بعيد . . »

لقد هدأت ميراي وأخذت تنظر الى المدى البعيد . . الى أعماق الفضاء الأزرق ، وكأنها ترى أشياء رائعة ، ثمَّ ارتسمت ابتسامة رائعة على شفتيها وقالت : « إنّها لسعيدةٌ تلك النفوس التي لم يعد الجسد يربطها الى هذه الأرض ! »

كان فانسان يجلس بجانبها يُصغي اليها يطلب من الله شفاءها بقلبٍ يائسٍ حزين ، قالت ميراي : « لقد حان وقت الرحيل . . أنا ذاهبة الى الملأ الأعلى بقلبٍ مطمئن ، لاأخاف من الموت . إنَّ الموت ضباب مايلبث أن يتلاشى مع دقات الجرس الحزينة . » فأجابها فانسان بحزنٍ وأسى : « لا أطيقُ العيش بدونك ، ياميراي ، أنا ذاهب معك حيثما تذهبين . . . »

أثر اللغة العربيّة وثقافتها
في اللغة الإنكليزية واللغات الأوربيّة الأخرى

حبيب سلوم   ترجمة: أنس الجابي

عن الانكليزية

تطورت اللغة العربية في صحراء شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الاسلام بوقت طويل . ولقد كانت هذه اللغة لغة غنية فصيحة البيان ثرة التعابير .

كانت البيئة التي نشأت فيها هذه اللغة وتطورت بيئة قاسية موحشة ليس فيها الكثير من الصور الجميلة التي يمكن أن توحي بالرقة والعذوبة واللطف والجمال لأي كائن انساني ، وكأنما من أجل التعويض عن قوة هذه البيئة ، عملت القبائل العربية على تطوير لغة شعرية مليئة بالصور والاستعارات والجمل المنمقة .

استمتع العرب القدامى بلغتهم العربية كما كان غيرهم من الشعوب يستمتع بالبيارات ذات القطوف الدانية وبالسهول الخضراء الواسعة .

كان الشعر والنثر وسيلتي التسلية والسرور للعرب رجالا ونساء بغض النظر عن كون هؤلاء النساء والرجال أغنياء أو فقراء ، فلقد كان كل منهم يحاول أن يُجلّي في هذا المجال . ونتيجة لذلك فلقد أصبحت اللغة العربية غنية بالمفردات التي تصف الطبيعة ، والصور الموجودة في تلك الأرض الصحراوية القاحلة الجرداء ، ولهذا فانك تجد في اللغة العربية العدد الوفير من الكلمات التي تصف موضوعا واحدا أو مسمى واحدا . ان كل شاعر عربي أصبح يستطيع أن يعتمد على وفرة مفردات لغته العربية وسعة امكانيات التعبير فيها من أجل إغناء شعره .

لم تكد توجد أية لغة في ذلك العصر بامكانها التفوق على اللغة العربية في ميداني : الشعر والنثر ، وبالتأكيد فلقد أعتقد العرب انه لاتوجد في العالم أية لغة تستطيع أن تكون معادلة للغتهم .

ظهر الاسلام في واحة الشعر تلك ، وكان عقيدة دينامية جديدة ، وانتشر في أرض الصحراء العربية وأصبح بعد عقود زمنية قصيرة أحد أعظم العقائد الدينية في العالم . بعد مجيء الاسلام أصبحت اللغة العربية التي هي لغة العرب ولغة أهل الصحراء ، الوسيلة الرائعة التي نقلت رسالة الدين الاسلامي الى جهات الأرض الأربع ، وعندها أصبح العرب والاسلام واللغة العربية شيئاً واحداً لايتجزأ . وكثيراً ماعلق الكتاب على هذه النقطة ودرسوها ، ولقد كتب اللغوي العربي ، الثعالبي ، (٩٦١ - ١٠٣٧) م الآتي :

« كل من أحبّ النبي أحب العرب ، وكل من أحب العرب أحبّ اللغة العربية ، هذه اللغة التي أنزل بها أشرف كتاب ، ان كل من هداه الله

الى الاسلام يؤمن ان محمداً أفضل الرسل وأن العرب أفضل الشعوب وأن اللغة العربية أفضل اللغات » .

لقد انتشرت اللغة العربية من الجزيرة العربية عبر شمال افريقيا الى شبه الجزيرة الايبرية لانها كانت دائما ترافق انتشار ابيلي ومسلمة المجريطي الذي لاسلام .

احترمت الجماهير الجديدة التي دخلت الاسلام اللغة العربية احتراماً شديداً ، وفي أحيان كثيرة كانت تهيمن على اللغة الأصلية للمسلمين الجدد ، بعد أن كانت فقط لغة القوم الفاتحين الذين أتوا من الصحراء العربية ، ولقد أصبحت اللغة العربية خلال عقود قليلة من الزمن لغة المثقفين ، كما أصبحت العامل القوي الذي استطاع توحيد العالم الاسلامي الجديد .

اعتقد المسلمون أن اللغة العربية كانت أم اللغات وهي اللغة التي تعلمها آدم في الجنة .

لقد نزل « القرآن » باللغة العربية وبما أن القرآن كتاب مقدس ، فانه رفع مستوى اللغة العربية حتى أصبح بعض العرب يعتقد أن اللغة العربية لغة مقدسة ، واعتبرت طريقة تلاوة القرآن من عجائب الدنيا . ولقد لاحظ الكتاب عبر القرون هذه الحقيقة وعلقوا عليها كثيرا وخاصة على موضوع سعة مفردات لغة القرآن وغنى هذه اللغة بالمترادفات .

وقد كتب السيد جول كارمايكل JOEL CARMICHAE في كتابه (تشكيل شخصية العرب) يقول :

« يقول المدافعون عن استثنائية اللغة العربية وتفردها : إن اللغة اليونانية مثلا تمتلك كلمة واحدة للتعبير عن عدة مسميات ، بينما تمتلك اللغة العربيه عدة كلمات للتعبير عن المسمى الواحد . ان الجمال اللفظي الآسر للغة العربية يعادله غناها المذهل بالمترادفات .

تستطيع اللغة العربية أن تستعمل المجاز بشكل لامحدود . ان قدرة اللغة العربي على التضمين وعلى استعمال المجاز ، تجعلها لاتدانى من قبل أية لغة أخرى ، وتمتلك اللغة العربية خصائص أسلوبية ونحوية غريبة ومتعددة ، تجعلها فريدة في اللغات ، ولهذا فلا يمكن ترجمة اي موضوع ترجمة تامة ناجحة من اللغة العربية إلى لغاتٍ أخرى

ان أية ترجمة الى اللغة العربية عن أية لغة أجنبية تجعل النص المترجم الى العربية أقصر دائماً ، ويفقد النص العربي الكثير من جماله عند ترجمته الى اللغات الأخرى ، ولكن اي نص بلغة أجنبية يكتسب جمالا عندما يُترجم الى اللغة العربية . ولهذا فمن البديهي كما قال أحد الكتاب المشهورين أن آدم عندما طرد من الجنة حُرم من التكلم باللغة العربية ، وكان عليه أن يتحدث باللغة (السريانية) بدلا من العربية ، وحين تاب سمح له الله تعالى أن يعود الى العربية . وعندما اتجهت الجيوش العربية نحو الشرق إلى قلب آسيا نحو الغرب الى وسط فرنسا احتلت أراضٍ عديدة تحتوي على حضارات متنوعة وثقافات مختلفة .

ولم يكن العرب كغيرهم من الفاتحين الكثيرين الذين أتوا قبلهم مدمِّرين مخربين ، بل اختلفوا عن غيرهم بأنهم حافظوا على الحضارات التي

سيطروا على شعوبها ، واستطاعوا في العقود التالية من الزمن أن يمتصوا الجيد من هذه الحضارات ، وخلقوا بنتيجة هذا الامتصاص حضارة عربية اسلامية كانت زادا للجنس البشري لمئات السنين .

اقتبست اللغة العربية من لغات شعوب الأراضي التي سيطر العرب عليها آلاف الكلمات العلمية والفنية ، ولقد أغنى هذا الاقتباس اللغة العربية ذات اللسان الشعري الذي نما في الصحراء ، ولم تفقد اللغة العربية مخزونها الكبير من الكلمات والتعابير على مر القرون . إن اللغة العربية الفصحى لاتضاهيها أية لغة أخرى حتى في عصرنا الراهن ، لأنها تمتلك عددا لايحصى من الكلمات أو كما قال جول كارمايكل :

« ان الحقيقة تلزمنا أن نقول : إن اللغة العربية لاتضاهيها أية لغة أخرى في غنى المفردات باستثناء اللغة الانكليزية المعاصرة وبشرط أن نضع ضمن امكانيات هذه اللغة اللغات الجانبية والمفردات المتخصصة التي تمتلكها . ان اللغة العربية الفصحى تستطيع ايصال رسالتها وما تريد قوله الى جميع القراء المثقفين ، وهي تمتلك امكانيات لاحدود لها في هذا المجال » .

كانت اللغة العربية هي لغة العالم المثقف واللغة العلمية فيه بدءا من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر . فكان على الأدباء والعلماء في الشرق والغرب أن يعرفوا اللغة العربية ، اذا ارادوا أن يكتبوا في المواضيع الفنية أو العلمية . ولقد أنتجت الأندلس العربية خلال تلك القرون من الزمن التي نتحدث عنها أعمالا علمية وأدبية باللغة العربية ، تعتبر أكبر مما أنتج من

الأعمال العلمية والأدبية في كل اللغات الأوربية . وكانت المكتبات العربية في اسبانيا الاسلامية التي حوى بعضها أكثر من نصف مليون مخطوطة ، نادرة المثال ولا شبيه لها في جميع البلدان الاوربية .

ولذلك فليس من المستغرب أن نلاحظ أن تلك اللغة التي تطورت صياغتها خلال تلك السنوات الخمسمئة ، عاشت حتى يومنا هذا واستمر ازدهارها .

كانت أغلبية سكان القلعة الاسلامية في اسبانيا خلال تلك القرون الماضية تعرف القراءة والكتابة ، بينما كانت الاقسام المسيحية من شبه الجزيرة الايبرية وباقي اوربا ، سواء في البادية أو الحاضرة وباستثناء رجال الكنيسة ، تعاني من الأمية . لقد أتى الكثير من المسيحيين الاوربيين الى اسبانيا العربية لكي يدرسوا ويتثقفوا ، ولدى عودتهم الى بلادهم كانوا يحملون معهم ضمن مفردات لغتهم الكثير من الكلمات والألفاظ والجمل العربية التي كانت تغني مفرداتهم . واضافة الى ذلك فقد أصبح المسحيون الذين يعيشون في ظل الحكم الاسلامي ضليعين باللغة العربية ، وكانوا يفضلونها على لغاتهم الأصلية ، ولهذا فانك تجد في اللغة المكتوبة والمحكية الكثير من الكلمات العربية التي استطاعت دخول اللهجات الاسبانية وكذلك اللغات الأوربية الأخرى ولكن بدرجة أقل . واستمرت حركة الكلمات العربية ناشطة في تأثيرها باللغات الأوربية إلى أن بدأت الثقافة العربية في اسبانيا بالانحسار والتراجع . وكانت لغة الاسلام المقدسة تستطيع التكيف بحيث تتلاءم مفرداتها مع اللغات الأخرى التي تقتبسها . ولقد كتب (تيتوس بركهارت) في كتابه « حضارة المسلمين في اسبانيا » مايلي :

« تميل اللغات إلى الضعف كلما طال مرور الزمن عليها ، ولكن اللغة العربية ظلت محافظة على طابعها الذي لم يستطع الزمن أن ينال منه . والذي يتمثل في غناها الوفير بالكلمات ، وزادها الهائل في التعابير ، بحيث تستطيع وصف موضوع واحد ما بكلمات مختلفة ومن زوايا متعددة . وفي الوقت نفسه فان هذه اللغاة تمتلك كلمات من شأنها أن تعبر عن مفهومات متآلفة ومتخالفة في وقت واحد دون أن تبدو غير منطقية ، وهذا الجانب المرن من اللغة العربية ، بالمعنى الايجابي جداً ، هو مايجعلها مؤهلة جداً لأن تكون لغة مقدسة . وكما قال ابن خلدون ، فاللغة العربية لغة كاملة ليس فقط لأنها غنية من الناحية الصرفية بل كذلك لأن (الماهية) و(الكيفية) يمكن أن تؤخذا من الفعل ، وبمعنى آخر يمكن في اللغة العربية ، اشتقاق الأسماء والصفات من الأفعال وهذا الاشتقاق ممكن لأن الأفعال التي تدل على الأعمال في اللغة العربية أكثر غزارة مما هي عليه في اللغة الأنكليزية مثلاً .

ان الكثير مما نود أن نعبر عنه بالانكليزية يحتاج الى كلمتين مثلا : فعل الكون مع الصفة على سبيل المثال (أن يكون جميلا) (أن تكون في الداخل) ، ان مثل هذه الجمل يمكن التعبير عنها باللغة العربية بفعل واحد .

ومنذ القرن العاشر حتى سقوط (غرناطة) ، ظلت الكلمات العربية تدخل اللهجات الاسبانية بدون توقف ، وتعززت اللغات المسيحية في الشمال ، وتوطدت بما كانت تقتبسه من مخزون اللغة العربية الغني من الكلمات العلمية والتقنية

وفي تلك القرون ، تسارعت حركة دخول كلمات اللغة العربية الى اللغات الاوربية بسبب ترجمة الكتب العربية إليها . ودخلت مئات الكلمات

العربية اللغات الاجنبية بسبب هذه الترجمات العربية ، وأصبحت جزءاً من المصطلح الأوربي . ولاشك في أن نقل المؤلفات من اللغة العربية الى اللغات الاوربية ودخول الكلمات العربية الى اللغات الاوربية ، قد ساهم اسهاما كبيرا في تغيير طريقة التفكير الاوربي ، ووضع أوربا على طريق التقدم والازدهار .

واليوم تحتوي اللغة الاسبانية ، وبعد جميع الحروب الدينية ، على أكثر من (٨٠٠٠) كلمة من أصل عربي ، وفيها (٧٠٠) اسم مكان من أصل عربي أيضاً ، وليست اللغة الاسبانية اللغة الوحيدة التي استوعبت كلمات من اللغة العربية وحافظت على مئات منها ، بل هناك الكثير من اللغات الاوربية الاخرى التي أخذت كلمات وجملا من اللغة العربية وحافظت عليها . ومما لاشك فيه أن لغة القرآن الكريم ، قد كان لها دورها في تطور الجنس البشري .

تلقت اسبانيا التأثير العربي المباشر أكثر من غيرها ، ولكن هذا لايعني أبداً أن التأثير العربي لم يمتد الى أوربا ، فلقد انطلق هذا التأثير اليها من صقلية بعد أن تمت السيطرة العربية عليها وتعريبها .

وبالاضافة إلى ذلك ، حمل الصليبيون معهم عند عودتهم من الشرق العربي المتمدن الى أوربا التي كانت تعيش في عصور الظلام ، العديد من الأفكار الجديدة والمنتجات الحديثة .

ولدى عودة هؤلاء الجنود الى اوروبا أغنوا اللغة الانكليزية وغيرها من اللغات الاوربية بما حملوه معهم من كلمات جديدة : في ميادين الزراعة

والعمارة والطعام والصناعة والعلوم والتجارة . وليس هناك من شك في أن الكثير من الكلمات التي اقتبستها اللغات الاوربية عن اللغة العربية ، جاءت مع المفردات التي التقطها الصليبيون أثناء غزوهم للشرق العربي ومكوثهم فيه . وكان من الطبيعي أن يحصل الاقتباس من الشرق الى الغرب ، لأن الأراضي الاسلامية كانت أكثر الأراضي تقدما في العالم في ذلك الزمن . لقد كانت العربية مسيطرة سيطرة تامة ، وكانت هي وحدها لغة التجارة والصناعة كما هو الحال بالنسبة للغة الانكليزية اليوم ، حيث تعتبر الانكليزية اليوم لغة الصناعة والعلم ، تزحف مفرداتها الى اللغات الأخرى وكذلك كان حال اللغة العربية في زمن الصليبيين .

اشترك جميع الاوربيين الشماليون في الحروب والصراعات الدينية وكانت الحروب الصليبية متمركزة في الشرق الأوسط بشكل رئيسي ، ولكن الصليبيين قاتلوا ايضا في صقلية واسبانيا . وعلى أي حال وكلما جرى احتكاك بين جنود الصليب هؤلاء وبين المسلمين ، تعرف الصليبيون على منتجات عربية جديدة أنتجت في الأراضي العربية الأكثر غنى . ومع شيوع شهرة المنتجات العربية في أوربا ، صار التجار الاوربيون يسافرون إلى الأراضي العربية بقصد التجارة . ولذلك فان الجندي المحارب والتاجر كانا أداتين فعالتين في نقل الكلمات العربية الى المصطلحات الاوربية .

كانت اللغة الانكليزية احدى اللغات الاوربية التي تلقت سيلا من الكلمات العربية التي أتت نتيجة الاحتكاك العربي الاوربي المبكر في اسبانيا وصقلية والشرق العربي . واستمر تدفق الكلمات الجديدة من الاراضي العربية الى الدول الاوربية .

وكـانت اللغـات الافـرنسيـة والبرتغاليه ، إلى جانب لغات أخرى ، واسطة فعالة لانتقال الكلمات العربية الى اللغات الاوربية . وعلى أي حال لم تكن تلك الفترة هي الـوحيـدة التي شهـدت انتقـال المفردات العربية إلى الانكليـزيـة . فقـد انتقلت كلمات عديـدة الى اللغـة الانكليـزية عن طريق افريقيا ، والشرق الأوسط والهند ، عندما عملت انكلترا على توسيع نفوذها في القرنين (١٨ - ٢٠) الى زوايا الأرض جميعها ، ولم يتوقف دفق الكلمات حتى بعد انتهاء الاستعمار ، بل بقي مستمرا حتى وقتنا الحالي .

أغنى هذا التـدفق العـربي الـذي بدأ في أوائـل العصـور الوسطى لغة شكسبير ، نحن اذا مابحثنا في وقتنا الراهن في المعاجم الانكليزية فاننا سنجد الكثـير من الكلمات ذات الأصـل العـربي ، تحت كل حرف من أحـرف الابجدية . وسوف يفاجأ الكثير ون ان يعرفوا أن بعض اللغويين عندما درسوا « قامـوس سكيتس الاشتقـافي » وجـدوا ان اللغـة العـربية تحتل المركز السابع على قائمـة اللغـات التي ساهمت في اغنـاء مفردات اللغة الانكليزية ، وتأتي قبلهـا اللغـات اليونانية واللاتينية والافرنسية والالمانية والاسكندنافية ومجموعة اللغات السلتية*، وهذه اللغات وحدها هي التي تتقدم على العربية في مجال الاسهام في المصطلح الانكليزي .

توجد في اللغة الانكليزية أكثر من ٦٥٠٠ كلمة أساسية وعدد كبير من الكلمات المشتقـة : منهـا التي هي من اصل عربي أو المأخوذة عن طريق اللغة العـربيـة ومـع ان كثيراً من هذه الكلمات ذات الأصل العربي لايُستعمل في اللغة الانلكيزية الا في حالات نادرة ، فانها موجودة في قواميس هذه اللغة .

* مجموعـة اللغات السلتية هي مجموعة من اللغات الهندية - الأوربية تشمل الإيرلندية والاسكتلندية والويلزية ، ولاتزال حية إلى اليوم في إيرلنده والشمال الغربي من اسكتلندة وفي ويلز .

(المترجم)

ولاشـك أنهـا أصبحت كلمات انكليـزيـة مع مرور الـزمن ، واستخـدمت في بعض جوانب الاستعمال اللغوي .

وعلى أي حال ليست الكلمات ذات الأصـل العـربي المستخـدمـة في اللغة العملية اليوم غير ذات اهمية ، وربما كان عدد هذه الكلمات المستخدمة في الخطاب اليومي يبلغ خمسمئة كلمة .

ان الكلمات العربية التي اقتبستها اللغة الانكليزية ، والتي تستعمل في المفـردات اليـوميـة التي ترد في الكـلام الانكليزي العادي ، توحي أن العرب أسهموا في جميع نواحي الحياة الانكليزية تقريباً .

ولســوف نعطي بعض الامثلة عن الكلمات الانكليـزيـة التي هي من أصـل عربي ، والتي تستعمـل بشكـل شائـع في اللغـة الانكليـزيـة ، وهذه الأمثلة ستعطينا فكرة عن أهمية المساهمة العربية في اللغة الانكليزية .

فنحن نجـد بعض الكلمات العـربيـة أو التي هي من أصـل عربي في ميدان الهندسة مثلا :

(AL COVE)	**وتقابلها (القبة)**
(OGIVE)	**وتقابلها (الجب)**
(BAROQUE)	**وتقابلها (البرقة)**[1]

وفي مجال الحيوانات والطيور

(AL BATROSS)	**وتقابلها بالعربية (القادوس)**
(CAMEL)	**وتقابلها بالعربية (جمل)**

(GAZELLE) وتقابلها بالعربية (غزال)

(GIRAFFE) وتقابلها بالعربية (زرافة)

(JERBOA) وتقابلها بالعربية (اليربوع)

(MONKEY) وتقابلها بالعربية (ميموم) *

(NACRE) وتقابلها بالعربية (نقرة)

(TUNA) وتقابلها بالعربية (سمك الطون)

(POPINJAY) وتقابلها بالعربية (ببغاء)

في مجال اللباس والمنسوجات

(CAFTEN) ويقابلها (قفطان)

(CAMLET) ويقابلها (خملة)

(COTTON) ويقابلها (قطن)

(FUSTIAN) ويقابلها (فسطاط)

(GAUZE) يقابلها (غزة)

(JUPE) يقابلها (جبّة) الرداء الابيض

(MACRAME) يقابلها (مقرمة)

* أوردها قاموس (المورد) بمعنى ضلع منحرف من ضلعي عقد أو قوس .

(المترجم)

يقابلها (مخيَّر)[5]	(MOHAIR)
يقابلها (موصلي)	(MUSLIN)
يقابلها (صندل)	(SANDAL)
يقابلها (شاش)	(SASH)
يقابلها (زيتوني)[6]	(SATIN)
يقابلها (العتابي) نسيج حرير مخطط	(TABBY)
يقابلها (تفتا)	(TAFFETA)

في حقل المواد الكيماوية والألوان والمعادن :

يقابلها (القلي) فلز قلوي	(AL KALI)
يقابلها (الجمع) زئبق ممزوج	(AMALGAM)
يقابلها (أنتيمون) أثمد	(ANTIMONY)
يقابلها (الذرنيخ)	(ARSENIC)
يقابلها (لازوردي) الأزرق	(AZURE)
يقابلها (بزموت) عنصر فلزي	(BISMUTH)
يقابلها (البورق) مسحوق أبيض متبلور	(BORAX)
يقابلها (كافور)	(CAMPHUR)
يقابلها (زنجبار)	(CINNABAR)

(CARMINE) يقابلها (اللون القرمزي)

(CRIMSON) يقابلها (القرمزي)

(ELIXIR) يقابلها (الأكسير)

(GYPSUM) يقابلها (الجص)

(KALE) يقابلها (كرنب)

(LACQUER) يقابلها (اللك) يطلي بورنيش اللك

(MUSK) يقابلها (المسك)

(MYRRH) يقابلها (اطر) صمغ راتنجي

(REALGAR) يقابلها (رهج الغار)

(SLARLET) يقابلها (صقلّات)[٧]

(SODA) يقابلها (الصودا)

(TALC) يقابلها (طلق) مسحوق

(ZIRCON) يقابلها (سليكات الزركونيوم)

في مجال الطعام والشراب :

(ALCOHOL) يقابلها (الكحول)

(ARTICHOKE) يقابلها (الخرشوف)

(BURGHUL) يقابلها (البرغل)

(CANDY) يقابلها (قند)

(CARAMEL) يقابلها (قناة)

(CARAWAY) يقابلها (كروباء)

(COFFEE) يقابلها (قهوة)

(CUMIN) يقابلها (كمون)

(JULEP) يقابلها (الجلاب)

(KABAB) يقابلها (الكباب)

(MOCHA) يقابلها (المخا) بن ممتاز

(SAFPRON) يقابلها (الزعفران)

(SALEP) يقابلها (السحلب)

(SHERBET) يقابلها (الشربات)

(SPINACH) يقابلها (السبانخ)

(SUGAR) يقابلها (السكر) ان كلمة سكر هي كلمة مقتبسة من قبل كل اللغات الاوربية من اللغة العربية .

(SUMACH) يقابلها (سماق)

(SYRUP) يقابلها (شراب)

(TANGERINE) يقابلها (طنجي) ثمر لونه برتقالي

(TARRAGON)	يقابلها (الطرخون)

في حقل الجغرافيا والابحار :

(ADMIRAL)	يقابلها (أمير البحر)
(AL HAMBRA)	يقابلها (الحمرا)
(CANAL)	يقابلها (قناة)
(GIBRALTAR)	يقابلها (جبل طارق)
(MONSOON)	يقابلها (موسم)
(SAFARI)	يقابلها (سفرة)
(SAHARA)	يقابلها (صحراء)
(SARACEN)	يقابلها (شريتون)
(TRAF ALGAR)	يقابلها (طرف الغاز)
(TYPHOON)	يقابلها (طوفان)
(XEBEC)	يقابلها (شباك)
(ZANZIBAR)	يقابلها (زنجبار)

في مجال المنزل والحياة اليومية :

(CABLE)	يقابلها (حبل)
(CALABASH)	يقابلها (خربز) (ياقطين)

(CARAFE) يقابلها (الغرافة)

(CARBOY) يقابلها (القربة)

(DIVAN) يقابلها (الديوان)

(GENIUS) يقابلها (الجن)

(HAZARD) يقابلها (الزهر)

(JAR) يقابلها (جرة)

(KISMET) يقابلها (قسمة نصيب)

(MASSAGE) يقابلها (مسّد)[٨]

(MATTRESS) يقابلها (مطرح)

(MULATTO) يقابلها (المولد) الخلاسي المولود من والدين مختلفي اللون

(NABOB) يقابلها (النائب)

(OTTOMAN) يقابلها (عثمان)

(SOFA) يقابلها (صُفَّة)

في مجال الموسيقى والاغاني :

(FRET) يقابلها (فرض)

(GUITAR) يقابلها (غيتار)

(LUTE) يقابلها (العود)

(TABOR) (TAMBOUR) يقابلها (الطنبور)

(TIMBAL) يقابلها (الطبل)

(TROUBADOUR) يقابلها (طرب الدار) ، وهو أحد الشعراء الغنائيين الموسيقيين الذين اشتهروا في جنوب فرنسا وشمال ايطاليا من القرن (١١) حتى نهاية القرن (١٣).

في نطاق الرعب والمقابر

(MACABER) يقابلها (الرعب)

(ASSASSIN) يقابلها (حشاشين)

(GHOUL) يقابلها (غول)

(MAFIA) يقابلها (مؤافي)

(MUMMY) يقابلها (مومياء)

(MASSACRE) يقابلها (مسلخ)

في مجال الزينة والشخصية :

(AMBER) يقابلها (العنبر)

(ATTAR) يقابلها (عطر)

(CAMEO) شومهان حجر كريم ذو نقش بارز

(CIVIT)	يقابلها (زباد)
(HENNA)	يقابلها (الحنة)
(LAPIS)	يقابلها (اللازورد) حجر سماوي الزرقة
(MASCARA)	يقابلها (مسخره)
(SEQUIN)	يقابلها (سكه) نثار معدني لتزيين ملابس النساء
(TALISMAN)	يقابلها (طلسم)

في عالم النبات :

(AL FALFA)	يقابلها (فصفصة)
(ANIL)	يقابلها (النيلة)
(APRICOT)	يقابلها (البرقوق)
(CAROB)	يقابلها (الخروب)
(CROCUS)	يقابلها (كركم)
(HASHISH)	يقابلها (الحشيش)
(LEMON)	يقابلها (الليمون)
(JASMINE)	يقابلها (ياسمين)
(LILAC)	يقابلها (الليلك)

(ORANGE)	يقابلها (النارنج)
(SAFFLOWER)	يقابلها (الأصفر أو العصفر)
(TAMORIND)	يقابلها (تمر هندي)

في عالم العلوم والرياضيات :

(AL MANAC)	يقابلها (المناخ)
(AL CHEMY)	يقابلها (الكيمياء)
(AL EMBIC)	يقابلها (الانبيق)
(AL GBRA)	يقابلها (الجبر)
(AL GORISM)	يقابلها (الخوارزمي)
(AVERAGE)	يقابلها (عوار)
(CALIBRE)	يقابلها (قالب)
(CARAT)	يقابلها (قيراط)
(CHEMISTRY)	يقابلها(الكيمياء)
(CIPHER)	يقابلها (صفر)
(ZERO)	يقابلها (صفر)

في رحاب السماوات :

(AUGE)	يقابلها (عوج)
(AZIMUTH)	يقابلها (السمت)
(NADIR)	يقابلها(نظير السمت)
(ZENITH)	يقابلها (سمت الرأس)
(ACHERNAR)	يقابلها (آخر النهار)
(AL GOL)	يقابلها (الغول)
(AL PHARD)	يقابلها (الفرد)
(AL TAIR)	يقابلها (الطير)
(BETELGEUSE)	يقابلها (بيت الجوزاء) (منكب الجوزاء)
(DENEB)	يقابلها (ذنب)
(FOMALHOUT)	يقابلها (فم الحوت)
(MENKAR)	يقابلها (منخار)
(MERAK)	يقابلها (مريخ الدب)
(MIZAR)	يقابلها (مئزر)
(RIGEL)	يقابلها (رجل)
(VEGA)	يقابلها (النسر الواقع)

في ميدان الرياضة :

(RACKET)	يقابلها (راحة)
(TENNIS)	يقابلها (تنس)[٩]

في ميدان التجارة :

(ARSENAL)	يقابلها (دار الصناعة)
(BAZAR)	يقابلها (بازار)
(CAFE)	يقابلها (قهوة)
(CHEQUE)	يقابلها (صك)
(DRAGOMAN)	يقابلها (ترجمان)
(MAGAZINE)	يقابلها (مخزن)
(REAM)	يقابلها (رزمة) ماعون ورق حسب المورد
(TARE)	يقابلها (الطرحه)
(TARIFF)	يقابلها (التعرفة)
(TRAFFIC)	يقابلها (تفريق)

ان الكلمات العـربيـة التي اقتبستهـا اللغة الانكليزية تمثل جانبا واحدا فقط من تأثير اللغة العربية في اللغة الانكليزية فإلى جانب ذلك هناك كلمات انكليـزيـة تعتـبر ترجمـة حرفيـة لكـمات عربيـة . ان الكلمـة الانكليـزيـة (Mygadala) هي ترجمة مباشرة لكلمة (اللوزتان) العربية . وكلمتا و هما ترجمتـان لكلمتي « الأم الصلبـة » و« الأم الـرقية » على التوالي وكلمة هي حرفيـا « المحـرك الأول » وكلمة هي الترجمة الانكليزية لكلمة لاجيب وكلمة ترجمة لمصطلح لاجذر

انعكست المساهمات العربية التي توضحت في الكمات العربية المقتبسة في اللغـة الانكليـزيـة على الحياة في المجتمع الغربي بشكل عام ولكن ادخال الأرقـام العـربية والنظام العشري طورا الحياة الغربية نفسها وليس هناك مجال للشك في أنه قبل استعمال الأرقام العربية كانت الأرقام الرومانية القبيحة تعيق تطور الرياضيات .

وتعـرفت اوروبـا الـلاتينيـة بين القـرنـين الثـالث عشـر والسـابع عشر بالتدريج على الأرقام العربية ولقد حدث هذا من خلال التجارة بين العالمين الاسـلامي والمسيحي ولكن اوروبـا لم تتقبـل تمامـا الارقام العربية الا بعد أن مرت خمسـة قرون على ادخـال العـرب وهم سدنـة المعارف القديمة ارقامهم اليهـا ، وعنـدمـا قبلت اوروبـا الارقام العربية فانها استطاعت التخلص من عصور الظلام .

وسـاهمت في وضـع اوربـة على طريق التقـدم عمليـة ترجمـة كتب (الخوارزمي) الرياضي العربي الكبير الذي اخترع الجبر وغيره من العلماء مثـل (جابـر بن أفلح الاشبيـلي ومسلمة المجريطي الذي ينتسب إلى مجريط وهي التسمية العربية لمدريد ، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، على يد مترجمـين مثـل (اديلارد من باث) و (روبرت من شستر) و (جيرارد من

كريمونا) و (جوهانس كامبانوس) .

وهنـاك مجال آخـر من مجالات المسـاهمة العـربيـة في التطور الاوربي لم يذكره أحد أو نادرا ماذكر وهو الكلمات الانكليزية التي لاتعتبر بشكل عام من اصل عربي ولكنها يمكن أن تكون مشتقة من اللغة العربية أو منقولة عنها . ان عدد هذه الكلمات يقـدر بالمئـات ، احتمال وجود أصل عربي لها يمكن أن تربـك طريق البـاحث الـذي يسعى ليتعـرف الاصـل الحقيقي للكلمات الانكليزية . وذلك مثل :

AMULET (حمل) ، **BABOON** (ميموم) ،

BRAZIL (بذر النيل)

CARAVAN (كلمة من اللغة الفارسية واصلها

KARWAN منقولة عبر اللغة العربية)

CHIFFON (شف)

HARPOON (حربه)

HOCKET (ايقاعات)

IACKEY (لكي)

NAPHTHA (النفط)

RAMBIE (مرحله)

RISK (رزق)

SO LDNG (سلام)

STERLING (من اليونانية **STATER** وانتقلت من خلال العربية ،

TIFFIN (دفة)

TOBACCO (تبغ)

TRUCK (طرق)

وما هذه إلا بعض أمثلة ، والقائمة لاحصر لها .

وبـالقيـاس إلى تأثير لغات العالم الأخرى يبدو تأثير العربية في غيرها ذا شأن كبـير . على أن هذا الإسهـام لم يتـوقف ومـازال مستمـراً . وخـلال بضـع السنـوات المـاضيـة دخلت في المعجم الإنكليـزي كلمات مثـل : أيـة الله ، وبركة ، وفلافل ، وحمص ، وإبريق ، وكبّه ، و (مافيش) ، و SHUFTISCOPE .(١٠)

ومن الواضح ، في ضوء نماذج الكلمات التي استعرضناها ، أن العربية أسهمت سابقاً في تقدم الجنس البشري ومازالت اليوم تقدم إسهاما وإن يكن على نطـاق أضيق وبـدرجة أقل . وإن تاريخ اللغة العربية يشهد بوضوح أن هذه اللغـة التي يعتـبرها العرب ، بل جميع المسلمين في الواقع ، لغة الجنة ، سوف تستمر في القيام بدورها في هذا العالم .

ملاحظات رئيس التحرير :

١ - لم أتبـين القـرابـة بين كلمـة برقـة وبـين كلمة Baroque وكان أستـاذنـا عبد الكريم اليافي قد اقترح كلمة (برّاق) ترجمة للكلمة الإنكليزية وأيّد الأصل العربي لكلمة Baroque .

٢ - ليس في(القاموس المحيط) كلمة من نوع (ميموم) ولم أتبين الصلة

٣ - ليس في (القاموس المحيط) كلمة من نوع (طون) أو(تون) ، ويشير (وبستر) المطوّل إلى أن الكلمة من أصل لاتيني ثمّ يوناني .

٤ - لا وجود لهذه الكلمة في المعاجم العربية ويشير (وبستر) المطول أن أصلها يوناني .

٥ - يشير (وبستر المطول) إلى أن أصل الكلمة ربما كان عربياً من كلمة (مُخبرٌ) أي مصنوع من شر العنز ، وكلمة موهير كما أشار إليها الكاتب هي استعمال عامي مأخوذ من اللغات الأجنبية .

٦ - يذكر (وبستر المطول) أن أصل الكلمة عربي من زيتون أو من الصفة زيتوني .

٧ - لايذكر المؤلف الكلمة العربية المقابلة ويذكر (وبستر المطول) أن أصل الكلمة فارسي وهو : سكلات .

٨ - لم أتبينَّ الأصل العربي لهذه الكلمة ، ويشير (وبستر) إلى تسلسلها من اللاتينية إلى البرتغالية إلى الفرنسية إلى الانكليزية ، ربما كانت كلمة (مسّد) قريبة منها .

٩ - لم أجد مستنداً لاعتبار كلمة (تنيس) عربية الأصل ولم أسمع بذلك من قبل .

١٠ - في النص كلمات كثيرة لايتضح أصلها العربي ، وليس في المعاجم مايشير إلى ذلك . والحقيقة أن الحماسة النبيلة التي يبديها بعض الدارسين لتأكيد الأصل العربي لكثير من الكلمات الأجنبية ينبغي أن تدعم بتدقيق علمي سليم .

رئيس التحرير

شعر

أشعار على طريقة الهايكو — د. شاكر مطلق

مختارات: للشاعر البولوني
زيغنيف هربرت — ترجمة وتعليق: هاتف الجنابي

مرثية لجيزوس مينديز
نيكولاس غيين — ترجمة: ممدوح عدوان

قصائد للشاعر روفائيل ألبيرتي — ترجمة: عبد الكريم قاصد

الأنشودة الرّوميّة
يانيس ريتسوس — ترجمة: بشار عباس

قصائد للشاعر السّوفياتي
بولات اكودجافا — ترجمة: د. القضماني

شعـــر

أشعار على طريقة الهايكو

د. شاكر مطلق

مقدمة

قصيدة (الهايكو) هي ضرب من الشعر الياباني الذي يتميز فيه النوع من الآخر بتعدد واختلاف المقاطع الصوتية في بنية القصيدة الإيقاعية.

وإذا كانت قصيدة (التانكا) ذات الخمسة أبيات والتي تتألف من واحد وثلاثين مقطعاً صوتياً هي الأصل الذي تطورت منه قصيدة (الهايكو) ذات السبعة عشر مقطعاً صوتياً، إلا أنها بدت طويلة نسبياً لكبار شعراء الهايكو وفي مقدمتهم الشاعر الكبير (ماتسو - باشو) (Matsu Basho) - ١٦٤٤ - ١٦٩٤ - الذي أبدع في تركيز الأفكار والتأملات في هذا الحيز الفني الذي يأسر فيه الشاعر ومضات أجوائه الداخلية مقدماً لها بصورة من فصول الطبيعة، والذي يدعو القارئ إلى الكثير من التأني والتأمل في فهم هذه الصورة المكثفة الوجدانية.

ومنذ أن أتيح لي إبان زيارتي لليابان في العام (١٩٧٨) أن استمع في المدينة الجامعية (كيوتو) الهادئة، الساحرة المناخ عاصمة الأمبراطور السابقة والتي ذكرتني بشدة بأجواء المدينة الجامعية (ماربورغ على نهر اللان) في هيسن بألمانيا الاتحادية حيث ابتدأت في ٢٠/٤/١٩٥٩ دراسة الطب البشري هناك، وحيث كان الكاتب الروسي المعروف (باسترناك)، ذات يوم طالباً في تلك المدينة الهادئة الساحرة الأجواء، أقول منذ أن تعرفت إلى هذا النمط من شعر (الهايكو) وإيقاعه الهادئ يعبر إلى أعماقك كالأشعة السينية دون أن تشعر به لا بل دون أن تفهمه، قبل أن يترجم لك، وأنا أحاول بين فترة وأخرى أن أكتب بعض

شاعري على هذه الطريقة المكثفة، وباللغة العربية، من ناحية المضمون طبعاً، والالتزام بالمقاطع الثلاث لعدم امكانية الالتزام بالمقاطع الصوتية.

وإن كنت اليوم أستطيع أن أعثر بعض قصائدي القديمة المنشورة في مجموعتي (لا نبأ جديد) عام /١٩٥٧/ وقبلها أو بعدها على ما يمكن أن يشابه هذا النمط الشعري خاصة قصيدة (التانكا).

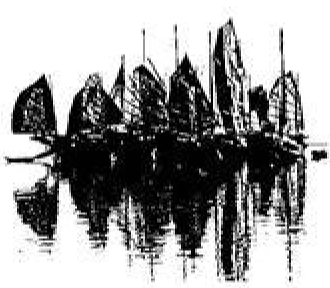
مثل على ذلك من عام ١٩٦٧:

الثلج ساخن
ممزوج بدماء الغزالة
وعشق إبطك الجميل
على رصيف الشارع
بقايا ليلتنا الباردة
وذاك الجرذ المصلوب
يأبى أن يموت

إلا أنني اعترف أن تلك المحاولات كانت تفتقر إلى عمق التفاعل النفسي مع ظواهر الطبيعة وامكانية تثبيتها في كلمات، وسوف اقدم بعض المحاولات بالنظم على طريقة (الهايكو) آملاً أن أكون قد اقتربت من محاولة الامساك بتلك الومضات الوجدانية العميقة الأثر القصيرة الديمومة كالبرق.

وتجدر الإشارة هنا إلى مقالة هامة حول هذا النمط الشعري كان قد قدمها الأستاذ (صبحي حبشي) في مجلة (المستقبل) الصادرة في باريس بتاريخ: ١ / ٥ / ١٩٨٢ العدد (٢٧١)، للاطلاع على هذا الموضوع بشكل أوسع وإلى كتب نشرت حوله باللغات الاجنبية.

حول هذا الموضوع وتجربتي مع الهايكو، خلال خمسة أعوام، كنت قد تحدثت أمام /إتحاد الكتاب العرب/ في حمص بتاريخ ٢ / ٢ / ١٩٨٣.



أشعار

على طريقة الهايكو - اليابانية - Hai Kai)

- ١ -

تمزّقت عباءة القمر
شرّعت سيوفها الرّياح
مات الصباح

- ٢ -

رائحة الزعتر فرّت
في قفص تحتجز الأفكار
ضاعفوا القضبان!

- ٣ -

في شباكٍ نوره
فوق نهر "قاديش"
سقط القمر.

- ٤ -

أراه يغسل الثياب.
بحيرة الآثام من جليد
تجمّد الضمير في الغياب.

-٥-

جحافل الرِّياح كالعساكرْ
طأطأتْ رؤوسَها السنابلْ
تموتُ، كالأشجار، في وقوفْ

-٦-

أُعيدها إليكَ أيُّها القمر
نسيتها في خيمتي
حبيبتي.

-٧-

خرجتْ من بيتها الجدران
فراشةً أتعبها الهدوء
تسعى إلى نار الشموع

-٨-

نجمةً جمّدها الصقيع
نهداكِ ينبوعان من لهبْ
- في لذةٍ - يورق الحطبْ

-٩-

غادرتْ أعشاشَها الطيّور
خرجتْ من نومها العيون
كي تراها من بعيد.

-١٠-

أسوار «أوروك»[1] من حرير
الحلم يغدو في السّراب:
شرنقة.

-١١-

كالمدِّ في «بحر الشمال»
مُحاصرٌ، يحيطك الجنون
لابد من غريق.

-١٢-

فراشةٌ تختفي في جمجمة
على الطريق حاجز المغول
يصادر العقول

-١٣-

رائحة التراب في المطر
بسمةٌ تنساب في سكون:
يورق الشجر

-١٤-

رائحة الدماء في المطر
دمعةٌ تنساب في سكون:
يصمت الشجر

(١) أوروك: عاصمة الكاكاش، بطل الملحمة السومرية المعروفة.

- ١٥ -

رعشة الغروب في المغيب
وطلعة القمر :
عودة الحبيب

- ١٦ -

أراه في البعيد
كالنسر في الغيوم
شهيدنا يحوم

- ١٧ -

العشب في نضارة المطر
يسأل الشجر :
أين الربيع ؟ ؟

- ١٨ -

العشب في نداءة المطر
يسأل الشجر :
أين الخراف ؟

- ١٩ -

في غيمها تلمع البروق
في حزنها تلمع العيون
في فكرنا تلمع السيوف

-٢٠-

فجّرَ الشوقُ جفونَ الغيم
فارتحلَ المطر
لملاقاةِ الشجر

-٢١-

فجّرَ الحزنُ جفونَ الغيم
تبكي - في صقيع العمر -
ميلادَ المطر

-٢٢-

عبقٌ في غابةِ الصّباح
تأخرَ الغزالُ بالرّجوع
بكّرَ الصيادُ والدموع

-٢٣-

في سكونِ الفجر
ترقى سلّمَ الأحلام
فليأتِ القمرْ

-٢٤-

ضبابُ الصباحِ يغطّي البحيرة
يقودكَ عبرَ ضبابِ الصّباح
نزفُ الجراح

- ٢٥ -

حيّةُ المرجان، ولدغةُ النهود
تموتُ في أرجوحةٍ،
تنأى عن الوجود

- ٢٦ -

لقاؤنا ينهالُ كالشلّال
يورقُ العصبْ
يذبلُ التعبْ

- ٢٧ -

لقاؤنا تجسّدُ الزمانِ بالمكانْ
مضى إلى لقائه الزمانْ
حاملاً بكفه المكانْ

★ ★ ★

مختارات :
للشاعر البولوني زبغنيف هربرت

ترجمة وتعليق : هاتف الجنابي

عن البولونية

زبغنيف هربرت هو واحد من أهم شعراء بولونيا الأحياء اضافة الى روزيفيج ، ونوفاك وكروخوفياك (توفي عام ١٩٧٦) .

يمارس كتابة الشعر منذ الاربعينات كما وأنه مترجم وكاتب مسرحي واذاعي وصاحب مقالات عديدة في الأدب .

ولد الشاعر عام ١٩٢٤ في - لغوف - وأنهى دراسته في قسم القانون في جامعة كوبرنيك في مدينة - تورون - كما ودرس التجارة في - كراكوف - والفلسفة في جامعة وارشو .

وكان أثناء الحرب العالمية الثانية جنديا في - الجيش القطري .A .K نال جوائز أدبية عديدة بولونية وأجنبية ، منها جائزة (LENAUA) النمساوية لعام ١٩٦٥ ، وجائزة (HERDER)

النمساوية أيضاً لعام ١٩٧٥ . كما ورشح من قبل دوائر خارجية عدة مرات لنيل جائزة نوبل .

له عدة مجاميع ومختارات شعرية ومسرحيات مطبوعة وأهمها : « وتر الضوء » ١٩٥٦ و« ستوديوم المادة » ١٩٦١ و« لاتوجد جنّة » ١٩٦٨ .

في أعماله الشعرية اضافة الى تناوله لموضوع الحرب وما خلفته من مآسي وظلال في المجتمع البولوني ، فهو يطرح قضايا مهمة أخرى ، تتعلق بمصائر الأفراد الذين خانهم الأمل والحظ بعد أن تحولا الى حلم ، مجرد حلم .

وهربرت في أشعاره متميز بالكثافة ، أي بكثافة ومرارة الصور والجمل الشعرية بل بقوتها اللامتناهية . ان قصائده لاتخلو من صعوبات شأنها شأن الكثير من قصائد قرينه الشاعر الكبير روزيفج ، ومردّ ذلك كما يبدو لي هو اهتمامه الدقيق بدقائق الأمور وكوامنها وبواطنها فكأنما المعادلة معكوسة عنده : معادلة الداخل الذي هو انعكاس للعالم الخارجي المحيط به . انه يعزف على وتر الداخل وبنفس الوقت يبحث عنه .

انه شاعر مشاكس ، مشاغب وقلق في شعره على الأقل ، معتز ومعتد بنفسه وقوميته شأنه شأن أي بولوني . انه لايحب اللعب بالكلمات لكن بقدر انشغاله في العوالم الداخلية لموضوعاته تصبح الكلمات وكأنها هي رثاء شفيف للشعر والشعراء ، وللمواطن الأعزل الضائع في أرض الله .

وهـربـرت ليس كبقيـة الشعراء معنياً بالكتابة من أجل النشر وانما بالبحث عن شيء جديد ، وعن مصيره ، وعن حالة مثيرة اسمها القصيدة .

ملاحظة : ان هربرت يكتب في أغلب الأحيان بدون فواصل أي فوارز ونقاط .

بيت

بيت خارج فصول السنة
بيت الأطفال الحيوانات والتفاح
مربعٌ من الفضاء الفارغ
تحت نجمة غائبة
بيت كان منظار الطفولة
بيت كان جلْدَ اثارة ،
خدًّ أختٍ ،
غصن شجره
خدٌّ تطاير لهباً
غصنٌ متعامد مع كرة صغيرة

فوق رماد عشٍ مذرور ،
أغنيةَ مشاةٍ مشردّين
بيت ، انه مكعّب الطفولة
بيت ، هو عظْمةُ الأثارة
جناح أُختٍ محروقة ،
ورقة شجرة ميتة .

عن ديوان « وتر الضوء » ١٩٥٦ .

العرافة

كلُّ الخطوط تتعمق في وادي الكفّ ،
في كهْفٍ صغير حيث يخفق موردُ الحظّ
هاهو ذا خطُّ الحياةِ ، انظروا ، كيف يسرع مثل اطلاقة ،
أفق الأصابع الخمسة مُوضَّحُ بدفْقٍ مندفع
الى أمام
محرقاً المعوقات
فليس ثمة أجمل أو أكثر جبر وتاً من هذه الأندفاعة

الى أمام .
وذا موازياً له خطُّ الأخلاص الحائر ،
كنواح ليليّ ،
مثل نهرٍ صحراويّ
مبتدئاً في الرمل
وغائراً في الرمل
لربما هذا الخطُّ أعمقَ يتجدّد تحت الجلد ،
وبرفقٍ يمسُّ حريرَ العضلة
ثم يدخل في الشرايين
كان بامكاننا أن نلتقي ليلاً بموتانا في الداخل ،
حيث يتواجد الدمُ والذكرى ،
في المداخل ، في الآبار وفي الأروقة المليئة
بالأسماء المظلمة
ذا المرتفع لم يكن موجوداً - أتذكر ذلك جيداً
هناك كان عشُّ الحنانِ مدوّراً مثل رصاصة ،
دمعة حارة سقطت على الكفِّ ،
أتذكّرُ الشعرَ ، أتذكّر ظلَّ الخدّ
والأصابعَ الهشّة

وثِقَلَ الرأس النائم .
من أيقظ العُشَّ من أنامَهُ ؟
هل هو ركام اللامبالاة الذي لم يكن موجودا !
مابالك أنت تضغط العيون بالكفِّ
سنعرض العرافةَ من تسأل .

عن ديوان « وتر الضوء » ١٩٥٦ .

مرثية فورتينبراس*

الآن ، حيث أصبحنا وحيدين ،
يمكننا التحدث رجلاً مع رجلٍ أيها الأميرُ
ولم أنك منطرح الآن على السلالم
وترى قدْر ماتراه دودة حزينة ،
يعني : شمساً سوداء
لم أتمكن أبداً حتى التفكير بكفيك

* فورتينبراس – هو ابن قائد الترويج الذي هزمه الملك الأول هاملت ملك الدانمارك . في مسرحية – هاملت – لشكسبير / المترجم .

من دون ابتسامة ،
حيث هما منطرحتان على الحجر
مثل أعشاش مطوَّحةٍ
هكذا ، عزلاوان هما كما كانتا ،
هذا يعني في الحقيقة النهاية
يدان ممدّدتان على انفراد
سيفٌ ممدّد على انفراد ،
والرأس على انفراد ،
وأرجل الفارس في خفّين هزيلين .
سيكون لك تشييع عسكري بالرغم من أنك
لم تكن جنديا
هذا هو الطقسُ الوحيد الذي أعرفه ،
بدون تراتيل أو شموع
غير أن هناك ، سيكون قتيل ودمدمة .
نعشٌ يُجرجر عبر حجارة الرصيف ،
خوذٌ ، أحذية ذوات نعْلٍ ، خيول عسكرية ،
نقر على الطبل ، طبل
أعرف ، لاشيء جميل البتة

هاهي ذي جميع حيلي قبل تسلُّم السلطة
من الضروري أن تمسك المدينة من الرقبة
وتهزّها قليلاً
هكذا ، على أيّة حال ، كنتَ مرغماً هاملتُ
على الهلاك
لم تكن للحياة
لم تؤمن بالشرطة الآدمية ،
بل بأفكار كرستالية ،
عشت في انكماش دائم
كما اصطدت في الحلم الوهم
عضضتَ الهواء بشرهٍ
ولهذا تقيأت
لم تكن تعرف أيَّ شيء بشري
حتى التنفس لم تعرف
الآن ، لك الراحة ، هاملتُ !
فعلتَ كل ما بوسعك
لك الراحة
والبقية ليست صمتاً ، لكنها لي

لقد اخترت الجزءَ السهلَ الطعنةَ المؤثرة
لكن ماقيمة الموت البطولي ازاء الحنان الأبديّ

تفاحة باردة في الكف ،
على كرسيّ مرتفع
مع منظر مُطلٍ على قفير ، وقرص ساعة .
وداعاً أيها الأميرُ

بانتظاري وضعُ تصميم للبالوعاتِ ،
وقانون في قضايا الشحاذين والبغايا
كما وعليّ أن أفكّر بنظام للسجون أفضل
حيث لاحظتَ بصواب
ان الدانمارك سجن
سأعرِّج الى قضاياي .
فاليوم ، في الليل سيولد النجم هاملت
لن نلتقي
وما سأخلِّفه بعدي لن يكون موضوعاً تراجيديا
لاترحيب ، لاوداع
نعيش في الأرخبيلات

وهذا الماءُ ، هذهِ الكلمات

ماذا بوسعها أيها الأميرُ .

عن ديوان « ستوديوم المادة » ١٩٦١ .

غابة آردنسكي

ضع يديك هكذا ، حتى تتشربا بالحلم ،

مثلما تتشرب الحبةُ الماءَ ،

وستجيء غابه ،

غيمة خضراء

وجذع البتولا مثل وتر الضوء

وألق من الأجفان المرفرفة كلاماً مورقاً منسياً

عندها تتذكر الصباحَ الأبيضَ

وأنت بانتظار انفتاح البوابات .

هل تعرف أن هذه الأرض سيفتحها طيرٌ

نائم في شجرة

والشجرة في الأرض .

غابة الأردن (آردنسكي) ورد ذكرها في مسرحية -AS YOU LIKE IT - لشكسبير ، والتي احتمى فيها بانيتا واتباعه بعد خصومة جرت بينه وبين أخيه فريدريك / المترجم .

حيث منبع الاسئلة الجديدة
حيث التيارات تحت قدم الجذور السيئة
إذن ، حدِّق في نسق القشرة ،
التي يهصرها وترُ الموسيقى
العازفُ يدير الأوتار
كي يطلق مافي صمته
اكشف الأوراق عن أصيص العشبِ ،
ندىً على العشب ،
مشط من العشب ،
وبعيداً ثمة جناح فراشة صفراء
وثمة دودة تمشّط اختها !
وفي الأعلى ، فوق العنب المخادع ، تنضج حلوةً كمّثرى برية .
وما عليك الاّ أن تجلس تحت الشجرة ،
لاتنتظر جائزة ما ،
ضع يديك ، هكذا ، حتى تتشبّع الذاكرة
باسماء الموتى ، والحبّة اليابسة
مرة أخرى ، ستجيء غابة .
غيمة ضبابية ،

جبهة محددة بضوء أسود ،
وألف من الأجفان المطبقة باحكام
على الحدقات الساكنة
لشجرة مع الريح مخلوعة
عقيدة الملاجيء الفارغة مخونة
أما تلك الغابة فهي لنا ، لكم
الموتى بحاجة لبعض الحكايات أيضا
حفنة من النباتات ،
وماء الذكريات
ولو خلل الأوراق المدببه
عبر حفيف الأوراق
وخلل روائح أسلاك غزْلية هزيلة
لاشيء البتة ، فيما لو الغصن يستقر ،
لو أن الظل يستدير عبر ممرات حلزونية
ولكنك ستعثر عليها وتفتح غابتنا الأردنية .

عن ديوان « وتر الضوء » ١٩٥٦

مرثية لجيزوس مينيديز

نيكولاس غيين ترجمة : ممدوح عدوان

عن الإنكليزية

[جيزوس مينيديز : ولد في حقول قصب السكر ومات وهو يقاتل من أجلها . كان أعظم قائد لعمال قصب السكر الكوبيين . ولقد اغتيل في مدينة مانزانيو في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٤٨ .]

الشاعر :

نيكولاس غيين شاعر كوبي من مواليد عام ١٩٠٢ . مايزال على قيد الحياة وهو الآن رئيس اتحاد الكتاب والفنانين الكوبيين . هو « شاعر الشعب » الكوبي ، لا من خلال موضوعاته التي التصقت بهموم القارة (أمريكا اللاتينية) والتي

حملت تطلعات أبنائها إلى التحرر والانعتاق فقط ، بل ومن خلال استقائه للأنغام الشعبية الأصيلة وزجها في الشعر . في شعره غنائية صافية شفافة جنباً إلى جنب مع وقائع يومية جافة وفيه تغنٍّ بالذاكرة الحية التي تحمل إرث أبناء أمريكا اللاتينية (إرث الإبادة والاسترقاق) جنباً إلى جنب مع أسماء (أعداء وأصدقاء) صنعوا تاريخ القارة . وقلما نجد بين قصائده مطولات (هذه واحدة منها) ربما لكي يسهل على الناس التقاطها وتداولها . لكن الذاكرة التي نشير إليها هي مايميز غيين بشكل خاص . ويكفيه انه قال قصيدة الاسلاف : « من خلال ماتقوله يافابيو بيدوان جدك كان ملاكا مع عبيده . لكن جدي كان شيطاناً مع أسياده . ولقد مات جدك مضروبا بهراوة ومات جدي مشنوقاً . »

– ١ –

تتمايل سويقات القصب جيئة وذهاباً
لتحذرك بأيد مرتعشة :
الطلقة ، عظم متناثر ، موتك .
لقد حدثْتك عن الرصاص والجلد

عن كابتن المخلب والرصاص والجلد
الذي يتربص ببندقيته
بعظم الفك والحافر المشقوق ،
الكابتن ذي العين الغابية الاستوائية .
كم نادت عليك
وهي تتمايل جيئة وذهابا
سويقات قصب السكر
لتحذرك بأيد مرتعشة
« كان مسلحاً بالجرأة أكثر مما هو مسلح بالفولاذ - غونغورا »
هاهو ذا
مبلل بفم نصف مفتوح
وحركته التالية مصممة مسبقاً
تحت جلد كهربائي
الكابتن المتربص ببندقيته
هاهو ذا :
منخران متماوجان
تهيؤا للدم الذي على وشك أن يسفح
من عروقك الطرية ،
عيناه مثبتتان عى رئتك
وكراهية متشنجة لصوتك ،
الكابتن المتربص
سويقات القصب المضطربه
تحذرك بأيد مرتعشة .

مشيت بينها ، وكنت تبتسم ،
بقامتك البدائية ، وتشع .
كان السكر العنيف في صوتك الجسور
يتردد من يانكي الى يانكي
مثل ومضة برق ليلي .
وبغتة صدمة البارود
ارتطام مسبوق بصرخة :
وهاهو كابتن الرصاص والجلد
كابتن المخلب والرصاص والجلد
يغرق في دمك
المتأجج ، الأوقيانوسي العميق .

- ٢ -

[« هناك أسهم كثيرة ارتفعت اليوم . »]

نيويورك هيرالدتربيون
القسم المالي

أخيراً سفح الدم المفعم بالحيوية .
أخيراً الشريان الممزق
ودم يرد في التقرير الصباحي
في بورصة نيويورك .

دم يرد في التقرير
على شريط الآلة الكاتبة الدوار
والذي يزحف ويمتلىء بالسم
مثل ثعبان لانهائي
جلده الناعم مرقش بندوب
من الأرقام والجرائم .
أسهم ترتفع أو تنقص
نصف نقطة
عقود لم تنضج
تكسب حتى ٥٪ في سنة واحدة .
شركة « كوبان أتلانتك »
يوم الخميس الماضي ، مثلاً ،
عملت بنسبة ٥ , ٢٩ مع خسارة نقطتين
وشركة سكر « بونتا أليغر »
أغلقت مع مكسب ١/٨ نقطة .
وتفيد صحيفة « وول ستريت جورنال »
ان شركة ورق « مينيسوتا وأونتاريو »
قد حققت في العام الماضي
مكاسب بأربعة ملايين
(الأمر الذي تهلل له نيويورك تايمز
وتهتف : ممتاز !)
ويبلغ دو جونز ببرقية سرية
ان شركة فيدرز كويغان

قد سحبت عرضها
حول الجرد العام .
وكانت شركة الخطوط الحديدية الكوبية
نشيطة ومواظبة
وحققت شركة تصنيع مولينز
عقداً خيالياً مع الجيش
لصنع قذائف المدفعية .
وأخيراً مقتطفات متفرقة :
الشركة الكوبية الجرد العام
الافتتاح في الخامسة
الاغلاق الخامسة و٣ / ٨
شركة وست أند
الافتتاح في ٦٩
الاغلاق في ٣١ و١ / ٨
شركة يونايتد فروت
الافتتاح في ٢١
الاغلاق في ٢١ و٣ / ٤
شركة فوستر ويلز
الافتتاح في ٤٠
الاغلاق في ٤١ و٥ / ٨
وبغتة يمزق الرعد
ذلك السطح الهش
ويندفع البرق

من ذلك السقف الواطىء الكبريتي
ألى القاعة المكتظة -
دم مينينديز ، اليوم عند الاغلاق
١٥٠ و٧ / ٨ مع ميل إلى الارتفاع

الجوقة هنا مؤلفة من :
التجــار ، المرابين ، المنـادين ، قضـاة الإعـدام بلا محاكمـة ، الخـدم ، الشرطة ، القوادين المراسلين ، المتخاذلين ، المساهمين ، المراقبين ، أكثر من ترومان ، أكثر من ماك أرثر ، خصيان مهرجين ، مقامرين ،

الجوقة هنا مؤلفة من أناس ذابلين صم عمي قساة .
تلك الجوقة قرب الكتف الفاغرة لرياضي طويل غابي
يبيع دفقات من الألم
يعلن عن أعصاب قابلة للنقل
وعن جلطات وعظام
لتمرد مسحول ومقسم إلى أربع ؛
ويدفع برئة ثقبها الرصاص .
والكابتن وراء ميدالياته
خواء في نبرة
عقلة مركز على الرشوة
ويطلق صوتاً كالمهاميز :
« رجا ، رجاء ، تفضلوا أيها السيدات والسادة
رجاء ، رجاء ، تعالوا ، تعالوا ، تعالوا »

وأخيراً هذه التنهيدة الحذرة القلقة
تتسرب من صحيفة مسائية :

« على الرغم من ان مرابح يوم أمس كانت عظيمة فعلاً إلا أن كمية المليون وستمئة ألف سهم المبيعة والمنخفضه نسبياً تدعو الى التأمل . فعلى الرغم من التفسيرات المختلفة التي قدمت يبدو ان التحسن كان تقنياً في طبيعته ويعتمد على قدرة المعدلات على تجاوز سقوفها السابقة ، ويمكن أو لايمكن ، رؤيته كنتيجة لتوجهات التيار الحالي . . »

ينطلق الكابتن خارجاً نحو البراكة
وابرة من الدم المتخثر
تخترق عينيه .

- ٣ -

[« هل بيننا من لم يؤذه هذا الوحش ؟ »]

لوب دوفيغا

انظروا إلى كابتن الكراهية
مطوقاً بصقر وأفعى .
عويل مرير يلاحقه
وريح معدنية تلفه
وجهه مقنع
بومضة بارود مفاجئة .

يغادر على ظهر جواده ليلاً .
ولكن الموت يركب وراءه .

★★★

هناك حيث مسدسه
يتحدث مع سكين القصب
وحيث أربع بنادق
تحرس نومه من الأحلام المزعجة
ان الملجأ الشاق لايعطي
أكثر من حرية جدران السجن .
الكابتن ، الكابتن محروس جيداً !
ولكن الموت يركب وراءه .

★★★

لو أن تلك التي صممت خلال تسعة أقمار طويلة[1]
شكله البشري العنيف
تبكي عليه اثني عشر شهراً غيرها
وتقدم له جسراً من الحزن
مصنوعاً من دموع قانية كالدم ؛

---

(١) المقصود تسعة أشهر وهي مدة الحمل .

يمر الكابتن منطلقاً بسرعة
ولكن الموت يركب وراءه .

★★★

تلك التي كانت تحلم بزهور حشيشة الملاك [٢]
ولكنها حملت فيه أنياب الذئب
تتأمل بنظرة ثابتة
طريقه عبر البصاق واللهب
في أعماق الغابة تبحث له
عن ملجأ أمين تخبئه فيه
يهرب الكابتن مسرعاً إلى أعماق الغابة
ولكن الموت يركب وراءه .

★★★

فتى ذو خدين ذهبيين أزغبين
رقيق مثل وريقة
يملأ الريح بحزن عميق
على الدم الذي يجري في شرايينه
ينشج صائحاً : « آه ، يادمي ،

---

(١) نوع من النبات المزهر .

كم تحرقني وتعذبني ! »
يهرب الكابتن من الصرخة الفتية
ولكن الموت يركب وراءه .

★★★

ذلك الذي من الأزهار الرقيقة
انتقى له اقساها
ليصنع تاجاً معتماً ووحشياً
ثم ينظر إلى عمله بخجل .
في ليل سيمائه الحالك
قلب رجولي يحترق وتوهجاً .
الكابتن يهرب ويتجاهله
ولكن الموت يركب وراءه

★★★

عبر حقول القصب الكثيفة
يجمح الخيّال ذو العينين الوحشيتين .
انه يحمل سوطاً من الكبريت ،
والكراهية تتوهج حيث يمر .
وجيزوس ميننديز ، بابتسامته ،
يبزغ مثل شمس الصباح .

يهرب الكابتن من ضربة الانتقام
ولكن الموت يركب وراءه .

[« في صدره قلب لم تلطخه الجرائم » بلا سيدو .]

جيزوس[1] أسود ولامع وجميل مثل الأبنوس . له أسنان بيضاء لطيفة تجعل ابتسامته دائماً مثل الفجر .

يتألق جيزوس أحياناً بعينين حلوتين حزينتين ، وفي هاتين العينين أحياناً تندفع مياه مشبوبة .

ويقول جيزوس « كارو ، ريو ، فيروكاريل ، سيكارو » مثل فرنسيٍّ يرفض التخلص من الحديث الطفولي الذي لم يفارقه .

ولكنه كوبي ، وكان والده قد تحدث مع ماسيو[2] مع ماسيو - الذي كانت كتفه تحمل نجماً من الذهب ، نجماً متألقاً ومتقداً .

مرة كنت مع جيزوس ، نمشي من حلم الى حلم في منطقته العظيمة المليئة برجال كانوا يحيونه بسكاكين القصب القاسية .

كانت منطقته العظيمة مليئة برجال يهتفون « اوه ، جيزوس ! » وكأنهم قد انتظروا مجيئه طويلاً .

كان يشاهد في حينها وهو يتحدث لا من فوق منبر ، بل وهو قريب منهم بحيث كان يستطيع ان يحصي مسامهم ويشم رائحة جلودهم المتجعدة .

---

(١) هنا نذكر جيزوس الذي يرثيه هو ذاته اسم المسيح « يسوع » .

(٢) مناضل كوبي من أجل الاستقلال (١٨٤٥ - ١٨٩٦)

وكـان يشـاهـد في حينهـا وهو يجلس معهم على مائدة من الرز الأبيض واللحم القاتم ، مائدة دون خمر أو غطاء لكي يشرف على وجبتهم .

لقـد ولـد جيـزوس وسط جزيرته ، وهناك يمكن رؤ يته في أيام الصحو متلفعاً بغيوم ساكنة .

أنهضـوه ، أنهضوه وتأملوا - من خلاله كيف تعصف الحياة عند قدميه وتتجدد في أمواج لانهاية لها .

- ٥ -

[« يبحث مرة أخـرى عن الـرجـل الـذي وجه الضربة . وحين يتطلع يعرفه على الفور » ! رسيلا]

العظماء في الموتى خالدون . لايموتون أبداً . ظاهرياً يبدو انهم يرحلون ويتم نقلهم بعيـداً ثم يتعفنـون ويتحللون . ويخيـل إلينـا ان الـتراب الـذي يملأ أفـواههم سوف يسكتهم إلى الأبـد . إلا أن ألسنتهم تنتفـخ وتكبر . تتشقق ألسنتهم مثـل البـذور الـبر يـة فنطلق أشجـاراً جبـارة ، أشجـاراً قويـة معبأة بالأعشـاش والعصـافـير . من رأى جيزوس يسقط ؟ مامن أحد كان يستطيع ان يراه ، ولا حتى قاتله . ظل واقفـاً وسـط القصب العـاصي ، القصب الهائج . وهو الآن يصرخ ويردد الصدى ولا يوقف . ينزل طريقاً لانهاية له ، طريق الـزمن المـاكـر والمغبّر بلحظات لاتمسَكُ كأنها الرمل الناعم . لاتنتظروا جيـزوس لكي يبـارككم ويسمعكم مرة كل عام بعـد الحـج والموعظة والتهدئة والبخـور لأنـه لن يتحـدث طويـلاً . إنـه يتحـدث إليكم دائماً مثل رب يومي تستطيعـون أن تلمسـوه ؛ لحمه اللين يمور بالحياة ، وفراشات صغيرة من نار

ترقص في عروقه . انه يتحدث إليكم دائماً مثل الصديق العزيز الذي لايغدر . الآخر هو الذي مات . الحي مات . إصراره الفولاذي مجرد سقطة مسبقة ، تأجيل غامض . الحي مات . مخضباً بدم جاره . يصرخ دون صوت ومامن أحد يسمعه أو يهتم به . الحي مات . يعبر من ليل إلى ليل ويهدد الهواء بقبضة ماء آس . الحي مات . له قبضة دبق ونتن ؛ يتقلب مثل معدة الضبع . الحي مات . كم من الذكريات المعدنية تطرقه مثل مطارق صغيرة فتولد شرراً مديداً في رأسه !

قصب مانزانيلو جيش
رصاص يانكي سكر
جريمة مانزانيلو ضربه
مزرعة حزب سجن
دولار مانزانيلو أرملة
دفن أطفال والدان
انتقام مانزانيلو حصاد .

زوبعة من الأصوات تحيط به ، تضربه ، أو تتوقف فجاءة - تتحجر على بلور السماء . أصوات الذين يمسكون بالمناجل ، أصوات فلاحين ولحّامين ورجال السكك الحديدية . أصوات فظة أيضاً : أصوات جنود يمسكون بالبنادق في أيديهم وبالنشيج في حلوقهم .
كم أعرف الجندي ،
صديق جيزوس .
الذي بكاه طويلاً
ثم جفف دموعه

بشال أزرق
وراح يغني هذه الأغنية :

★★★

مرت حمامة مجروحة
تطير قربي
كان جناحها فوقي أحمر
كم أستطيع أن أرى بوضوح

★★★

آه ياصديقي جيزوس
لقد كنت معك حتى النهاية
وأنت تعرف من الذي أطلق البندقية
لم يكن أنا ياجيزوس .
رصاصة في صدرك
من واحد في الصف .
لكن هذا الجندي ليس كالبقية .
لكن هذا الجندي ليس كالبقية .
جيزوس
لم يكن أنا ياجيزوس .

★★★

مرت حمامة مجروحة
تطير قربي
كان منقارها فوقي أحمر
كم أستطيع أن أرى بوضوح

★★★

لاتحاول أن تخمن
من خلال حزام ذخيرتي .
فكل طلقة ماتزال مكانها .
كل طلقة وأقسم .
ولكنها فقدت حتماً
(ليست هناك بالتأكيد)
واقتيدت الى القلب النقي
واقتيدت إلى القلب النقي
جيزوس
لقد سيرتها الكراهية عبر الهواء .

★★★

مرت حمامة مجروحة
تطير قربي

كان عنقها أحمر
كم أستطيع أن أرى بوضوح

★★★

آه ، ما أكبر الحزن والخوف
لدى معرفة ان الجلاد قريب
إلا انه أكثر مدعاة للحزن
أن ترى انه يقتُل ليأكل .
فهو سيحصل على خبزه
(طالما أن أي شيء قد يحدث ؛
مغلمساً بدم الموتى
مغمساً بدم الموتى
ياجيزوس
وملحه من دموع النساء .

★★★

مرت حمامة مجروحة
تطير قربي
كان صدرها فوقي أحمر
كم استطيع أن أرى بوضوح

★★★

غرد الطائر المائي بعذوبة
ثم تاه في الجبال ومات .
ومرة فيما هي تبحر بحرية
غرقت السفينة في أعماق البحر .
ومن أجل الطائر التائه
غنى طائر آخر لي ؛
ومن أجل السفينة الغارقة
ومن أجل السفينة الغارقة
ياجيزوس
أبحرت سفينة أخرى .

★★★

مرت حمامة مجروحة
تطير قربي ،
عالياً ، عالياً ، عالياً
حلقت . كم أستطيع أن أرى بوضوح

★★★

- ٦ -

[« ولإضاءة الطريق نحو النصر الأكيد
رفعت الحرية مشعلها في مدينة نيويورك »
روبن داريو]

يكدح جيزوس ويحلم . يتمشى في جزيرته لكنه يصعد أيضاً متن سفينةٍ نارٍ عظيمة . يعبر حقول قصب البؤس ويتوقف أمام آلامها لكي يحدث الحَصاد المكتئب ؛ فيؤازره ويشجعه . وبغتة تظهر برقيات ورسائل وأصوات وإشارت على البحر لتبلغ انه قد سار بين عمال زوليا ، عمال ملطخون بالنفط الخام بينوا له كيف ان الدريك[1] - الطير المصنوع من الحديد القاسي - يثقب الصخر لكي يأكل قلوبهم . ومن تشيلي جاءت كلمة تقول ان جيزوس كان في أنفاق الملح الكئيبة في تاراباكاوتوكوبيا ، حيث تصنع الريح من الكلس المحمى والغبار القاتل . ويقول بحارة « مجدلينا » انه حين أخذوه في ذلك النهر الكبير تحت شمس مدهونة بالكاكاو أشار إلى الموز المسترق والقهوة بالكاكاو وأشار إلى الموز المسترق والقهوة المستعبدة وتذكر السود المفعمين بالحيوية وهم مقيدون إلى شواطىء بحر قراصنة الكاريبي . ومن « النقطة الحمراء » يصرخ ديسالين[2] « خيانة ! خيانة جديدة ! » ويقدمه إلى دوفيليه ، المتوحش المأساوي ، الذي كان يرقب موت هاييتي ، المبقع بالذباب ، ويبكيه . وتهتاج أكواخ ريو دوجانير و لأن الأنباء تصل بأن جيزوس قادم بالقطار مع عمال آخرين من ليوبولدينا . وتُظهر له بورتوريكو قيودها وترفع قبضة مشدودة سوَّدها البارود . وتحدث هندي من المكسيك : « في الليلة الفائتة كان في بيتي » . أحياناً يخطو على الدم والفضة اللماعة في بيرو . وأحياناً أخرى ينزل إلى الطرف الجنوبي الأقصى من خريطتنا ليتضامن مع البيّون[3] في تلك المناطق الحيوية ومثل غيتار منغم ، يرافق صراخهم العنيف . أين يطير الآن ؟ أين يطير ؟ ربما عبر حزام البراكين التي

(١) الهيكل المعدني فوق بئر النفط .

(٢) جان جاك ديسالين : عبد ثائر حقق استقلال هاييتي عام ١٨٠٤ .

(٣) عمال هنود أوسيلانيون في أمريكا اللاتينية .

تحمي قلب أمريكا المعذب من البرزخ المكسور إلى حدود الأزتيك على أيدي (الفواكه المتحدة) . كيف يصعد ويحلق في الجو المرن المتموج ، في الجو الزيتي ، عبر الجو الكثيف والدخان الأسود فوق الولايات المتحدة الأمريكية هيجان عظيم يستجره إلى أضواء واشنطن ونيويورك حيث تصطخب مأدبة بلسذار (٤)

مع الصرير ترفع أمريكا الشمالية
كأسها المعدنية من السود
الكأس الهيدروجينية العنيفة من السود
نخباً من العم سام .
ويزعق القرد القذر بعقل متقلص
عن طاولته : « إنه يتوجه نحو الموت »
وترد جوقة مبهمة متعددة الأصوات
« الموت ، الموت ، يتوجه نحو الموت »

★★★

النسر ، الذي يحرك الهواء مثل الأبله ،
ينقل نظره من بحر إلى بحر لامع .
وتحته أشكال مُقَلْنَسةٌ جنائزية
ترقص وهي تدق طبلاً رصيناً
ثم تضيء الأحرف الثلاثة القاتلة

---

(٤) في مأدبة بلسذار قام النبي دانيال بالتنبؤ بدمار بابل .

التي تنبىء عن « كو كلوكس كلان »
وترسل صوب الجنوب صرخة مبهمة
« الموت ، الموت ، يتوجه الموت » .

★★★

لهيب هائل يلتهم الشارع
الذي ولد فيه الدولار ،
ومواد كيماوية تغلي في المعوجات(١)
تطلق غازات مميتة .
وقرب تابوت يبتسم (جيم كرو)
ويقترب (لينتش) ليشد على يده
ويهتف صوت سوطهما الرهيب
« الموت ، الموت ، يتوجه نحو الموت .

★★★

آمنٌ بصليب على جواده
يطلق (ووكر) ضحكة معدنية .
أزهار من البارود في حديقته
تُسقى كل يوم بالكيروسين
يحلم بدمٍ يتدفق سيولاً

(١) الأوعية الزجاجية في المختبرات الكيماوية .

وبعظام عارية من اللحم
وتحت قلنسوته فكرته الهمجية !
« الموت ، الموت ، يتوجه نحو الموت . »

★★★

جيزوس يسمع النخب ، الكلمات المخيفة ، الدحرجة الطويلة للرعد - ثم يمشي . يُحملُ على أغنية عريضة وعميقة مثل ذرات البحر . آه . ولكن الأغنية تتمزق إثر صرخة . ومن مارتنسفيل يتصاعد الدخان الجاف من جلد يشوى على لهب خفيف من نار شيطانية . وتحت ، هناك ، الأراضي القاسية للجنوب اليانكي حيث يموت السود محروقين ، مدهونين بالقطران ومكسوين بالريش ، مثل الكلاب ، منتهكين ، بلا دمٍ ، ومشنوقين ؛ أجسادهم تتدلى مثل الأجراس من أبراج الخوف . ينفجر الجاز بالبكاء ، يعلك شفتيه المليئتين بالموسيقى وينتظر يوم الدينونة الأولى عندما يطبق الصل المعدني لإيقاعه المختصر على عنق المضطهد . ارقصوا بلا مبالاة أيها الجلادون القساة ، أيها القتلة بأعصاب باردة ! ارقصوا في وميض سياطكم الأصفر ، وفي وميض مرارتكم الأخضر ، وفي الوميض الدخاني الأزرق لموتكم وفي الوميض الأرجواني لتفسخكم ! ارقصوا على أجساد الضحايا الذين لن تفلتوا من عودتهم الغاضبة . أنين مارتنسفيل الطويل صار اليوم مسموعاً . ونحن نسمعه . إنه يرجع في الصدى ، ينهض ويحترق ! سبعة أصوات سوداء في مارتنسفيل تطلق اسم جيزوس سبع مرات ، هي تصرخ في مارتنسفيل ، تصرخ سبع صرخات من النقمة مثل سبعة سيوف ، تصرخ في مارتنسفيل سبع انفجارات من الكبريت مثل سبع صخور

بركـانيـةٍ ، تصـرخ سبـع مرات من أجل انتقامها . وجيزوس لايقول شيئاً . ولكن ومض الـوعـد المبشر في عينيه مثل لمعان الشمس على منجل الحصاد . انـه يرفـع قبضتـه الجبـارة مثـل مطـرقة متينة ويمشي . انه محمول على أغنية عريضـةْ وعميقـة - ومغنىً بأصـوات مخلصـة في لغـة جديـدة - مثـل ذرة من البحر . جيزوس ليس في السماء بل هو على الأرض ؛ انه لايطلب أدعية بل كفـاحـاً . لايـريـد كهنـة بل أخـوة ؛ ولم يشيّـد معـابـد بل نقـابـات . إنهم لايستطيعون أن يقتلوه

- ٧ -

[« سرعان مايصيح ديك الصباح كأنما ليبدِّدَ الفجر . » السيد]
يالپديه ، كم من الأظافر
ماتزال تنمو وهونائم
لهب ساطع يتأجج فوق
المنطقة المدفونة من الهواء
التي أرادوا أن يبددوا فيها
لحمه وضوءه وعظامه وصوته
كم هو أَلِقٌ في إشعاعه
وكم سيُرى بوضوح
وهو يسير بين القصب صائحاً
وهو يحوم مثل الاعصار متشككاً
وهو يسقط وينهض
أو يمر مثل عملة شائعة

من يد إلى يد
أو وهو يطلق وسط شوارعنا
لهيباً حارقاً ودائماً
أو يلقي في الأنهار
والبرك وبحار الرجال
أغنيتَهُ التي ، مثل حجر ،
تشكل دوائر من الموسيقى
ذات نغم انتقامي
ونحن نحملها على أكتافنا
مثل ترتيلة !

★★★

الصوت الذي يميل ويحضننا
في ليالي الأرق ، ينطبق كوردة
فيخرج منه عصير مر
وتنطلق منه الرائحة الرطبة
ومياه كلماته ذات الإطراف الحادة
التي تجد في الريح طريقاً للصراخ
وفي الصراخ طريقاً للغناء
وفي الغناء طريقاً إلى النار
وفي النار طريقاً إلى الفجر
وفي الفجر ديكاً قرمزياً ،

من الديناميت والمعدن أيضا ،
ينشر النهار بجناحيه .

★★★

تعال ، تعال ، وستكون في آن
جرساً وقارعاً في ذلك البرج اللطيف .
تعال وسنصبح معدناً وعظماً معاً
يحييان الفجر الصافي والمنتظر
لبدايتنا ،
مثل اكتشافٍ مروِّعٍ
لنجم مفاجىء .
معدن وعظم معاٍ
يحيان حمامة الطيران الشائع
وغصن الاخضرار في الهواء الطليق
والعربة التي تكدس فيها
القمح المحصود منذ قليل
والحضور الجوهري
للفولاذ والزهرة .
معدن وعظم يحييان معاً
الموكب الختامي والموجة الكبيرة للنصر .
وعندها سيأتي :
جنرالاً لحقول القصب

سيفه مصكوك بصواعق مجليّة .
عندها سيأتي :
تائهاً في الدخان وجواد الماء
بابتسامته الناعمة وموجته المتباطئة .
عندها سيأتي جيزوس
لكي يقول :
« انظروا . . هاهنا سُكّرٌ بلا دموع »
ولكي يقول :
« لقد عدت فلا تخافوا »
ولكي يقول :
« طويلة كانت الرحلة ومرهقاً كان الطريق . .
لقد انبثقت شجرةٌ من نزفي
لكي تُؤوي عصفوراً يغني الحياة
ويستقبل النهار بتغريدِهِ . »

المرجع

Man Making Words Instituto Cubano Del Lebro Havana Cuba

قصائد للشاعر روفائيل البيرتي

ترجمة : عبد الكريم قاصد

عن الفرنسية

مقدمة

في عام ١٩٢٩ ، نشر روفائيل البيرتي ديوانه الخامس « عن الملائكة » في مدريد . كان عمره سبعة وعشرين عاماً ، وقد لاقى ديوانه هذا ، كما أفضى لنا بنفسه ، نجاحاً ساحقاً .

ترجع أصول هذا الديوان المجبول من النار إلى اضطراب عميق حيث الكائن الداخليّ هو الذي يخلق تجربة خرابه الشخصية « عام ١٩٢٨ هو : الحب ، الغضب ، الجنون ، الحنق ، السقوط ، العوز » هكذا يوجز البيرتي حالته آنذاك . أما بالنسبة إلى اللغة فقد شرع البيرتي بولادته الخاصة :

« آنــذاكِ اكتشفت ملائكــةً ليست بمـلائكـة اللوحـات والنقـوش المسيحيـة المجسّدة بل هي هذه الملائكة الشبيهة بقوى الروح القاهرة ، القابلة لان تخلق وفق الحالات الاكثر اضطراباً وسـريّـةً في طبيعتي ، فاطلقتهـا عصـائب عبر العالم ، تجسيداتٍ جديـدةٍ عميـاء لكـل ما هو موجـودٌ في أعماقي من أشياء مدمّاةٍ ، موحشةٍ ، محتضرةٍ ، مخيفةٍ ، وطيّبةٍ أحياناً - لكل ماكان يلاحقني . »

إن المواجهة مع الملائكة هي قبل كل شيء مواجهة مع الذات . تشير القصيدة الاولى « الفردوس المفقود » الى قصد المغامرة الروحية ومناخها .

ديكور من الوحشة ينتشر في المقاطع الشعرية الاتية : المدن ، الأنهار ، الجبال التي بلا أصداء ، المحيطات الخرساء .

في جغـرافيـا المـوت هذه تبـدو الارض والسـماء فارغتـين في الصمت أو الظلمات ، تبدو الاشارات والأصوات ذاهلةً . وحده الامل هو الذي يبقى .

عبر الأقسـام الثـلاثة لهذا الديوان ذي الوميض الجحيمي - حيث كل قسمٍ مبـدوء بهذه الكلمات المستعـارة من غ . أ . بيكر « ضيف الضباب » - يفصح القلب الجريح عن اضطراباته ، شكاواه ، مخاوفه ، حنينه ، فرحه .

جوقةُ ملائكةٍ تسكن الشاعر : ظلالٌ متشكلة من أمواج روحه ، ظلالُ أحـلامٍ وصـرخـات مخنـوقـةٌ ، ملائكـة حربيـةٌ ، ملائكـة عفنـةٌ ، ملائكـة مسعـورةٌ . . . ومن بين هذه الاستعـارات ، الاستعارة الأكثر تأثيراً هي بلا شك « الملاك الخائب الرجاء » . هنا يتذكر البيرتي حبَّه المدمّر .

هكـذا تبعث حركـاتُ الحيـاةِ العميقـة الأشباح الموحشة أو الماكرة التي تسكن الشـاعـر وتـلاحقـه بلا هدنـة : ملاك الغضب ، المـلائكة المنتقمة ،

الحاسدة ، السائرة في نومها ، تاركةً للانبعاث بين ألعابها الصاخبة ملاك الطيبة أحياناً .

بهذه الاستدعاءات أو التعازيم الضاجّة تختلط الذكرى الخاطفة ، الخائبة ، الغائمة عبر الديوان ، . . ذكرى الحب المغدور المستحيل .

مع ذلك فان الرفصة الملعونة تتلاحق حول الشاعر ، هاهو ملاك الرمل الجذّاب الخائن مثل رمل متحرك ، هاهو ملاك حانات الاقبية حيث في الظلّ تذبل الأزهار ، هاهي الملائكة التي تنادي الطفولة وهي تقوم بطوافها ، الملائكة - التلاميذ . فجأة يظهر الملاك الخائن ليُلهم الشاعر بغدره صرخات مؤثّرة .

إن خاصيّة كل الصور الخاطفة التي تكوّن هذا التعزيم هي ميّزة الهام يضع يده على الجرح . الصورة هنا برق اعماقٍ نادرة :

« قلبه ، انفجارات صخورٍ ، فرحٍ ، ديناميت . »

بلا هدنةٍ تسعى اللغة أن تنوب مناب الأمواج الصاخبة غير المرئيّة . لهاث ايقاعٍ ضاجّ تنظمه مهارة تلميذ لغونغورا ، لهاث يترجم هذا الحجّ لروحٍ تبحث عن ذاتها .

إن الليل الذي تجتازه هذه الروح شبيهٌ بليل الصوفيّين دكنةً وكثافةً :

« ثمة ليالٍ تستحيل فيها الساعات حجراً في الفضاءات

ولا يسير (دم) الأوردة

ليالٍ يرفع فيها الصمت عصوراً وآلهة مستقبل . »

إن هذه الأشعار التي تشكّل هذا الديوان هي بمجموعها أشعارٌ انطباعية على حدّ تعبير بيدروس ساليفاس - « مثل دراما متلاحقة ، مثل تظاهرةٍ جديدة لمعارك تشنّها دوماً قوىً معاديةٌ في أعماق الروح »

يظلّ هذا الديوان تعبيراً عن أزمةٍ خانقةٍ محدودة . ويسجّل تحوّلاً رئيساً

في خطّ سير البيرتي الشعري . إنّ الخلاص الذي نشده البيرتي يوماً في القلق ، وجده بعد زمن قصير في لقائه بالانسانة التي اصبحت زوجته فيما بعد . من أجلها كتب هذه الأبيات :

حين ظهرتِ
كنت أتعذب في جوف كهف عميق
بلا هواء ولا منفذ .

وفي السنة التي اعقبت هذا اللقاء عام **١٩٢٩** كان الانضمام الى الحزب الشيوعي قد منح حياته اتجاهاً جديداً .

« عن الملائكة » شهادة عن فترة قصيرة من حياة شاعر أسباني كبير ، وعن حياة فنية ايضاً لمرحلة طبعتها السريالية بطابعها الخاص .

الفردوس المفقود

عبر العصور ،
عبر عدم العالم ،
بلا حلمٍ ، أبحث عنك .

خفيٌّ ورائي ،
دون أن يمسّ كتفيّ ،
ملاكي الميّت ، الحارس .

أين الفردوس
أنتَ يامن كنت هناك ، أيها الظلّ ؟
سؤالٌ بصمت

مدنٌ بلا ردّ
أنهارٌ بلا كلمات ، قممٌ بلا أصداء
بحارٌ خرساء .

لاأحد يدري
رجالٌ مسمّرون واقفون
على ضفة قبورٍ بلا حراك
يجهلونني .

طيورٌ حزينة ،
أغانٍ مذهولة ،
رأسٌ مشدوه ،

عميان . لايعرفون شيئاً

رياحٌ قديمة ، بلا شمس
هامدةً على الأمكنة .

مجصّصةً تنهض للتطواف
ثم تنكفيء
صامتةً .

السماوات تهرب منّي
باهتةً بلا شكل
تخفي الحقيقة داخلها .

الان وعند نهاية الأرض
على الحافة الأخيرة
تنزلق العينان

في المهاوي السوداء
أبحث عن ذلك الدهليز الأخضر
وقد مات الأمل في نفسي .

آه ياثلمة الظلال !

ياالجيشان العالم !

ياالاختلاط العصور !

الى الوراء ، إلى لوراء !

يالرعب الظلمات الخرساء !

يالروحي كم هي ضائعة !

انهض . ايها الملاك الميّت

أين أنتَ ؟

أضيىء بشعاعك الأياب .

صمت ، صمت

صامتة دقاتُ لانهاية الليل

ياللفردوس المفقود

ضائعٌ لأهتدي إليك

انا ، بلا ضوء ، إلى الأبد

الملاك الطيّب

جاء الذي أحببت ،

الذي ناديت .

وليس ذلك الذي يكنس سماوات عزلاء .

نجوماً بلا كوخ من قش .

أقماراً بلا وطن ،

ثلوجاً .

ثلوجاً تسقط من يدٍ ،

من اسمٍ ،

من حلمٍ ،

من جبين .

لا ليس ذلك الذي ربط بجدائله الموت .

بل الذي أحببت .

دون أن يخدش الهواء

أن يجرح الأوراق

أن يحرك الزجاج .

الذي ربط بجدائله الصمت
ليحفر دون أن يؤلمني ،
شاطئاً من الضوء العذب في قلبي ،
ويحيل روحي صالحة للابحار .

دعوة إلى الهواء

أيها الظلّ ، أدعوك إلى الهواء
ياظلّ عشرين قرناً ،
إلى حقيقة الهواء .
الهواء ، الهواء ، الهواء .

أيها الظل الذي لايفارق عرينه أبداً
ولا يُعيد إلى العالم
الصغيرَ الذي وهبه إياه الهواء
ساعة ميلاده .
الهواء ، الهواء ، الهواء .

ياظلاً بلا ضياء

أيها الناخر في أعماق عشرين قبراً
عشرين قرناً فارغاً بلا هواء
بلا هواء ، بلا هواء ، بلا هواء

أيها الظلّ في القمم ،
ياظلّ حقيقة الهواء
الهواء ، الهواء ، الهواء !

اغنية الملاك التعيس

أنتَ أيها الراحل :
ماء يحملني ،
ليهجرني .

ابحثوا عني في الموجة .

هذا الذي يرحل ولا يؤوب ثانية :
هو ريح تنطفيء وتضيء
في الظلّ

ابحثوا عني في الثلج

هذا الذي لايعرفه أحدٌ
هو أرضٌ تترجرج
ولا تخاطب أحداً .

ابحثوا عنّي في الهواء

الملاك الخائب الرجاء

مضرماً البرد ،
هتف صوتك في داخلي
تعال الى وطني .

مُدُنٌ تنتظرك ،
بلا أحياء ولا موتى ،
لتتوّجكَ .
أنام
لاأحدَ ينتظرني .

الملاك المسعور

إنها أبواب دم ،
آلاف من الأحقاد ،
أمطارٌ من الضغينة ، بحار

ماالذي صنعته لكِ ، قولي ،
لكي تعتقيها ؟
لماذا تشعلين كلّ ملائكتي
بنفسك المرّ ؟

مشاعل وبروق
لم تُجْدني .
ولا الليالي المسلحة ،
والريح الوفيّة .

تثبين وتنقضّين عليّ ،
وتقودينني أسيراً

الى ضوئك الذي هو ليس بضوئي
متحدية .

الى ضوئك الحامض
الذي لايؤكل .

ملاك الغموض

خلمٌ بلا ضوء ، نداوة نسيان ،
وطأهما اسمٌ وظلّ .
اسم أو عدة اسماء ، لا أدري .
ظلٌ أو عدة ظلال .
اكشفوه لي .

اعرف ان الابار تسكنها أصوات باردة ،
اهي من جسدٍ او عدة أجساد
من روح او عدة ارواح
لاأدري
أخبروني .

أعرف انّ جواداً بلا فارس يمر راسماً على الجدران

فارسته القديمه .

أنّ على الشرفات ميتاً يصرخ ،

لمسته وانا نائم في مرآة .

قلت لهُ انا الأخرس

عن ماذا ؟ لاأدري .

أوضحوه لي .

ملائكة السرعة

أرواح لها ستة أجنحة

ستة أرواح بلون القش ،

دفعتني .

ست جمرات

هواء مسرعاً كان حلمي

عبر الآمال المتجلية

دواماتِ سماواتٍ مسرعة
مدناً مسرعة حلزونية
جبالاً متدحرجة ،
محيطاتٍ هاربة ،
ضفافاً ، انهاراً ، براري .

دفعتني .
رماديةً كانت الارض
فقد هربت
معاديةً كانت السماء
لأنها لم تتوقفْ
وأنت أيها البحر
وأنت أيتها النار
وأنا ،
ياهواء حلمي المسرع .

ست جمرات
مخفية اسمها ووجوهها

تدفعني بسرعة
أوقفوني !
لاشيء
أوقفوني للحظة !
لاشيء
لم يكونوا يريدونني
أن أتوقف لحظةً . . لحظةً واحدة .

ملائكة الخرائب

حلّ النهار أخيراً ، حلّت ساعة المجارف والدلاء
لم يأملْ الضوء أن تسقط الدقائق
فقد تسلّى في البحر عن حنين الغرقى الى اليابسة .
لم يأملْ أحدٌ أن السماوات عند الفجر من الحلفاء
وأن للملائكة نجوماً صدئة ضد الرجال الخائرين .

الثياب لم تنتظر مبكّرة هجرة الأجساد .
على الفجر المبحر كان يهرب عقم الأسرة .
يتحدّثون عن البنزين

عن الحوادث التي سبّبتها نسياناتٌ غامضة .
ويهمهمون الى السماء عن خيانة الوردة .
لروحي أتحدّث عن تهريب البارود
في يسار جثّة عندليب من أصدقائي .
لاتقتربوا !

لم تفكّروا أبداً أن ظلّكم عاد الى الظلّ
عندما جرحت صمتي رصاصة مسدّس .
لكنْ حلّتْ هذه اللحظة أخيراً ،
مقنّعةً بليلٍ ينتظر شاهدة قبر .
الكلس الحيّ هو العمق الذي يحرّك نتوءات الموتى .

قلتُ لكم ، لاتقتربوا ،
سألتكم قليلاً من البعد :
حدّاً أدنى لفهم حلمٍ
أو قرفٍ ضائعٍ يفجّر الأزهار والفحم

القمر كان عذبا قبل الانتهاكات
معتاداً أن يهبط في الأفران عبر مداخن المصانع .
ملثّاً يموت الان على خارطة بترول مفاجئة
يسعفه ملاكٌ يعجّل في احتضاره
ينساه رجال الزنك والقطران والرصاص

رجال القطران والوحل
ينسون أن سفنهم وقطاراتهم
أمام تحليق الطائر ،
هي بقعة زيت في وسط العالم
محاطةً بالصلبان من كلّ صوب
لقد نسوه . .
مثلي ، مثل الجميع
لا أحد ينتظر بعد وصول القطار السريع ،
زيارة الضوء الرسمية الى البحار المحرومة منه ،
انبعاث الأصوات في الأصداء التي تتكلّس .

الأنشودة الرّوميّة

يانيس ريتسوس ترجمة : بشار عباس

عن اليونانية

لعل أفضل ما نبدأ به للتعريف بالشاعر اليوناني ريتسوس هو ماقاله عنه شاعر فرنسا آراغون : (إنه اعظم شاعر حي هذا الاغريقي ريتسوس) ، أماشاعر تشيلي الكبير نيرودا فقد قال عنه : (لاأرضى أن تقارن أشعاري إلا بأشعار ريتسوس) . ومن المؤسف حقاً ان ريتسوس غير معروف تقريباً بالنسبة للقارىء العربي وكذلك الشعر اليوناني الحديث عموما ، رغم أن الحركة الشعرية اليونانية قد قدمت خلال هذا القرن أربعة شعراء عظام حاز اثنان منهم على جائزة لينين للآداب واثنان على جائزة نوبل وهم : ريتسوس ، فارناليس ، سيفيريس ، واليتيس .

ولد ريتسوس في أول أيار عام ١٩٠٧ بقرية مونمواسيا اليونانية وفي عام ١٩٢٦ أنهى دراسته الثانوية وانتقل الى أثينا لينخرط بنشاط في

الحركة المسرحية والادبية والسياسية اليونانية ، وهناك تعرف على التيارات الثورية والتزم بها ، وعندما صعد الفاشستي ميتاكساس الى السلطة عام ١٩٣٦ أحرق كتبه وكتب جميع التقدميين اليونانيين واستمرت فترة الملاحقات الفاشية والقمع الى أن قامت الحرب العالمية الثانية واحتل الالمان اليونان حيث انخرط ريتسوس في حركة المقاومة للاحتلال وسرعان مااعتقل (عام ١٩٤٢) ونفي الى جزيرة ليمنوس ، وعندما أطلق سراحه عام ١٩٤٤ شارك من جديد في مقاومة الالمان ثم الانكليز وشارك في الحرب الاهلية الى جانب جبهة التحرير الوطنية ، وفي عام ١٩٤٩ (بعد انتهاء الحرب الاهلية) اعتقل مرة أخرى ونفي الى الجزر حيث أمضى أربعة أعوام .

عاد ريتسوس بعد اطلاق سراحه الى المشاركة بقوة في الحياة الادبية والسياسية ، وفي عام ١٩٥٦ منح ديوانه (سوناتا ضوء القمر) جائزة الشعر العالمية في اليونان وعندما قام انقلاب ١٩٦٧ اعتقله الحكام العسكريون ونفوه الى جزيرتي ليروس وساموس حتى عام ١٩٧٠ إذ اطلق سراحه نتيجة لضغوط الرأي العام التقدمي والديمقراطي في العالم . وهكذا أعاد ريسوس مرة أخرى الى الأسماع صوته المتميز الذي لم يستطع العسكريون ان يخنقوه ، ففي عام ١٩٧٦ حصل على جائزة ديميتروف وفي عام ١٩٧٧ حصل على جائزة لينين للآداب .

لقد كتب ريتسوس هذه القصيدة بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٩ ، اي خلال فترة الحرب الاهلية ، وتتحدث هذه القصيدة عن رجال المقاومة والظروف القاسية التي مروا بها اثناء مقاومتهم للمحتل الالماني ثم

الانكليزي ثم ماقاسوه خلال الحرب الاهلية من اعتقال واضطهاد وتصفية . وتعتبر قصيدة (روميوسيني) - (الانشودة الرومية) من أكثر القصائد شعبية في اليونان ، فقد لحنها الموسيقي الكبير ثيوذوراكي وغدت اغنية لايضاهيها في سعة انتشارها بين اليونانيين سوى نشيدهم الوطني .

الانشودة الرومية

- ١ -

تلك الاشجار لاترتاح تحت سماء أضيق ،
تلك الحجارة لاترتاح تحت الخطوات الغريبة ،
تلك الوجوه لاترتاح الا في الشمس ،
تلك القلوب لاترتاح الا للحق .

قاس كالصمت هو ذاك المكان ،
يهصر بصدره حجارته الملتهبة ،
يعصر في الضوء شجيرات الزيتون اليتيمة والكروم ،
يصر على اسنانه : ليس ثمة ماء . فقط ضوء .
الطريق يضيع في الضوء ، وظل السور من حديد .

تحجـرت الاشجـار والجـداول والاصـوات في الكلس

الساقط من الشمس .

الجذور تصطدم بالصخر .

الحبال المغبرة والبغل والصخور تلهث : ليس ثمة ماء .

عطشى جميعا ، ومنذ سنوات وهم يلوكون لقمة سماء ،

رغم مرارتهم .

عيونهم حمراء من السهر ،

وشق عميق يغور بين حاجبيهم

كشجرة سرو بين جبلين ساعة الغروب .

ايديهم ملتصقة بالبنادق ،

صارت البنادق قطعة من ايديهم ،

وأيديهم قطعة من ارواحهم -

الغضب على شفاههم

وعميقا - عميقا في عيونهم يحملون اللوعة

كنجم في بحيرة ملح .

عندما يشدون أيديهم تطمئن الشمس على العالم ،

عنـدمـا يبتسمـون يطـير عصفـور سنـونو صغير من بين لحاهم الوحشية ،
عندما ينامون تسقط من جيوبهم الفارغة اثنتا عشرة نجمة ،
وعندما يقتلون تسمو الحياة وسط خفق الرايات وقرع الطبول .

سنوات وهم يجوعون ، يعطشون ، يقتلون
محاصرين من البر والبحر .
التهم الجفاف حقولهم ، والملوحة روت بيوتهم ،
الرياح حطمت الابواب وشجيرات الفل القليلة في الساحة ،
يدخل الموت ويخرج من ثقوب ارديتهم ،
السنتهم مرة كالعلقم .
كلابهم ماتت متلفعة بظلها .
والمطر ينقر عظامها .

في نوبة الحراسة يدخنون الروث الجاف والليل

ويراقبون البحر الهائج
حيث غرق شراع القمر المحطم .

نفذ الخبز ونفذت القذائف ،
وهم الآن . . . يملأون المدافع فقط بقلوبهم .

سنوات طويلة وهم محاصرون من البر والبحر ،
يجوعون ، يُقتلون وما من أحد منهم يموت -
في نوبة الحراسة تسطع عيونهم ،
كراية كبيرة كنار حمراء كبيرة ،
وعند كل فجر آلاف الحمائم تطير من بين أيديهم
نحو بوابات الافق الاربع .

- ٣ -

هنا السماء لاتفارق عيوننا ولا للحظة -
هنـا الشمس تحمل عنا نصف وزن الصخرة التي نرفعها
على الاكتاف ،

تنقصم الحجارة تحت ثقل ركبة الظهيرة ،
والنـاس يمضون أمام ظلالهم كما تمضي قطعان الدلفين
أمام مراكب سكياثوس*
ثم تصبح ظلالهم كصقر يصبغ اجنحته في شمس
الاصيل
ثم تأوي الى رؤوسهم وتتأمل النجوم
بينما يجلسون في الشرفة مع الزبيب الاسود .

هنا كل باب يحمل اسما منحوتا منذ ثلاثة
آلاف سنة ، أو يزيد ،
هنا كل حجر يحمل ايقونة قديس بعينين وحشيتين
وشعر مجدول ،
كل رجل يحمل على يده اليسرى وشما منقوشا ابرة فابرة
لحورية بحر حمراء ،
كل فتاة تحمل تحت تنورتها حفنة ضوء مملح
والاطفال يحملون خمسة او ستة صلبان مرارة

* سكياثوس : جزيرة يونانية يعتقد اهلها ان قطعان الدلفين تسير امام مراكبهم لتدلهم على مواضع الصيد والسمك الوفير .

في قلوبهم
كآثار اقدام النورس على الرمل عند الغروب .
لاحاجة للتذكر . نعرفه .
كل الدروب تؤدي الى الحقول الجبلية*. فالهواء
هناك حاد .
عندما تخبو من بعيد اللوحة الجدارية المينوية** للغروب
وتنطفيء النار في قش الشاطىء ،
تصعد العجائز على الدرج المنحوت في الصخر
يجلسن على الصخرة الكبيرة وهن يغزلن البحر
بأعينهن ،
يعدن النجوم كما يعدن فضياتهن الموروثة
وفي وقت متأخر . يهبطن ليطعمن أحفادهن من بارود
ميسولونغي***

---

* الحقول الجبلية : لعل الشاعر يقصد هنا الاشارة الى المقاومة اليونانية ضد الالمان ، إن مقر المقاومة كان دائماً في الجبال اليونانية .

** الحضارة المينوية : حضارة قديمة وجدت في بلاد اليونان قبل الحضارة الهيلينية وقد تركت هذه الحضارة كثيراً من الرسوم الجدارية .

*** ميسولونغي : ميناء يوناني دارت فيه أقسى المعارك بين اليونان والاتراك اثناء الثورة اليونانية (١٨٢١) ضد الاحتلال التركي وقد حاصر الاتراك هذا الميناء فترة طويلة دون ان يتمكنوا من احتلاله .

نعم كم يدا المصلوب حزينتان حقا في عروتيهما ،
لكن حاجبيه يرتعشان كصخرة توشك ان تسقط
فوق عينيه المعذبتين .
ومن أعماقه تنبض تلك الموجة التي لاتعرف التوسل ،
ومن الأعالي تهب نسمة عبقة بشذى الصنوبر والخوخ
آه لو تهب الريح مرة فتقتلع أشجار برتقال الذاكرة ،
آه لو تهب مرتين لتشعل شرارة في الصخرة الفولاذية
ككبسولة ،
آه لو تهب ثلاثا لتجن غابات الزيتون في لياكورا* ،
لو تلكم بقبضتها الطغيان مطيحة به في الهواء
وتجذب حلقة دب الليل النحاسية ليرقص لنا
تساميكو** بين الخنادق
وتنقر على دف القمر الى ان تمتلىء شرفات الجزر
بالاطفال المستيقظين والنعاس في عيونهم وبالامهات
السوليوتيات***

* لياكورا : منطقة في اليونان شهيرة بغابات الزيتون وكانت نقطة انطلاق للعديد من العمليات ضد الالمان .

** تساميكو : أشهر رقصة فولكلورية يونانية .

*** الامهات السوليوتيات : الاقليم السوليوتي هو الاقليم الشمالي الغربي من اليونان حيث دارت معارك قاسية ضد المحتل التركي ومن ضمنها معركة ميسولونغي التي ذكرناها في ملاحظة سابقة .

كل صباح يصل رسول من ميغالى لانغاديا ،
في وجهه تلمع الشمس المنداة بالعرق ،
وتحت ابطه يمسك بشدة حبه للروم
كما يمسك العامل ايقونته داخل الكنيسة .
يقول : (حانت الساعة ، علينا ان نكون مستعدين .
كل ساعة هي ساعتنا) .

- ٤ -

شدوا الرحال - دون تردد - باتجاه الفجر ، بإباء الرجل
الذي يجوع ،
في عيونهم التي لاتطرف تجمدت نجمة ،
وعلى أكتافهم حملوا الصيف الجريح .

من هنا مروا متلفعين بالبيارق ،
كانوا يصرون باسنانهم على عنادهم كلوزة فجة ،
أحذيتهم مليئة برمل القمر

* ميغالي لانغاديا : مركز قيادة المقاومة اليونانية للاحتلال .

وغبار فحم الليل ملتصق بأنوفهم وآذانهم .

شجرة فشجرة حجرا فحجرا عبروا العالم ،

وعلى وسادة من الشوك عبروا النوم .

كيما يشقوا مجرى نهر الحياة بأيديهم الجافة .

في كل خطوة خطوها كانوا يربحون مقدار ذراع من السماء -

كيما يهبوه

في نوبات الحراسة كانوا يقفون متحجرين كالاشجار اليابسة ،

وعندما كانوا يرقصون في الساحة كانت أسطحة المنازل ترتجف

وأواني البلور ترن على الرفوف .

آه أية أغنية تلك التي زلزلت قمم الجبال -

جالسين على الارض كانوا يضعون آنية القمر على ركبهم . . . ويتعشون ،

كانوا يسحقون الآه بأجنحة قلوبهم

كما يسحق أحدهم قملة بظفريه الثخينين .

من سيجلب لك بعد الآن الرغيف الساخن في الليل كي تطعم أحلامك ؟

من سيقف في ظل شجـرة الـزيتون كي لايتوقف صرصار الليل
عن غنائه ؟
من ؟ الآن ، بعدما صبغ كلس الظهيرة أسوار الافق
ماسحا أسماءهم الكبيرة المليئة بالرجولة .

هذا التراب الذي كان ترابهم وترابنا ،
كان يفوح ساعة السحر برائحة دمائهم -
والآن بعدما أغلقت كرومنا ابوابهم ،
من سيقول إن نصفهم صار تحت التراب
ونصفهم وراء القضبان ؟

خلف كل وريقات الشجر هذه تومىء لك الشمس : صباح
الخير ،
فوق كل هذه البيارق تسطع السماء ،
وهؤلاء وراء القضبان وأولئك تحت التراب .

صمتا ، هاهي الاجراس توشك ان تقرع .

هذا التراب هو ترابنا وترابهم .

أيديهم المتصالبة تحت التراب

تمسك بحبال الاجراس - لم يناموا ، لم يموتوا ،

انهم فقط ينتظرون حتى تحين الساعة ،

لكي يقرعوا أجراس القيامة .

هذا التراب هو ترابهم وترابنا ،

ولا يستطيع أحد أن يأخذه منا .

قصائد للشاعر السوفياتي
بولات اكودجافا

ترجمة : د . القضماني

عن الروسية

بولات أكودجافا شاعر وكاتب روسي معاصر ولد عام ١٩٢٤

من أهم دواوينه :

الجزر - ١٩٥٩
الطبل المرح - ١٩٦٤
شارع أرباط . . . ياشارعي - ١٩٧٦

كما صدرت له عام ١٩٧١ رواية تاريخية بعنوان : جرعة من الحرية .

تحول أغلب ماكتبه من شعر إلى أغانٍ جماهيرية وضع الشاعر ألحان الغالبية العظمى منها وعزفها على غيتارته وغناها بنفسه .

دعاء فرانسوا فيّون

مادامت الأرض تدور ،

مادام في الكون نور ،

ياإلهي . .

هَبْ كلَّ فردٍ ماليس عنده

هب الذكي رأساً ،

هب الجبان حصاناً ،

هب السعيد مالاً ،

ولاتَنْسَني أنا .

مادامت الأرض تدور ،

إلهي . .

إنها سلطتك ،

اجعل المتعطش للسلطة

يروى منها ،

هب الكريم فسحة

بين مطلع النهار ومغربه ،

امنح العاصي توبة ،

ولا تنسني أنا .

أنا واثق

من أنك قادر على كل شيء

أنا مؤمن بحكمتك

كما يؤمن جندي قتل

أن له الجنّة

كما تؤمن كل أذن

بأحاديثك الهادئة

كما نؤمن نحن أنفسنا

دون أن ندري

ياإلهي . . .

. ياربي . . .

ياأخضر العَيْنين

مادامت الأرض تدور

وهذا ماتستغربه هي نفسها ،

مادام لدينا

مزيد من وقت ونار ،

هب كل فردٍ قليلاً مما ليس لديه ،

ولاتنسني أنا .

جندي من ورق

كان فيما كان

جندي

جميل مقدام

عاش في هذا العالم

لكنه كان دمية

جندياً من ورق .

أراد ان يغير هذا العالم

كي يمنح السعادة للجميع

لكنه كان معلقاً بخيط

فهو جندي من ورق .

أراد أن يقتحم النار والدخان

أن يموت في سبيلكم مرتين

لكنكم سخرتم منه

فهو جندي من ورق .

لم تأتمنوه على أسراركم

لماذا ؟

لأنه جندي من ورق .

لكنه كان يقسم بقدره

أنه لايرغب حياة هادئة

وكان يطلب

- وقد نسي أنه من ورق -

أن يخرج من نار ليدخل في أخرى .

- ماذا ؟ إلى النار ؟ !

انطلق إذن !

وانطلق ذات يوم . . .

وهناك احترق . . .

فهو جندي من ورق .

ياصاحبة الفخامة

ياصاحبة الفخامة . . . أيتها القطيعة

كل مشكلتي أنني لا ألتقي بها

رسالتي التي ماتزال في مظروفها . . .
انتظري . . . لاتمزقيها
فإذا لم يحمل لي الموت الخلاص
قد يحمله الحب لي .

ياصاحبة الفخامة . . . أيتها السعادة
كم أنت طيبة للبعض
وعلى النقيض لآخرين
تسع غرامات قلبي . . .
انتظري . . . لاتناديني
فإذا لم يحمل لي الموت الخلاص
قد يحمله الحب لي .

ياصاحبة الفخامة . . . أيتها الغَلَبَة
لم تصل أغنيتي بعد إلى نهايتها
فكفوا ياشياطين عن التراهن بالدماء
فإذا لم يحمل لي الموت الخلاص .
قد يحمله الحب لي .

أنا أكتب رواية تاريخية

في زجاجة معتمة

من زجاجات البيرة المستوردة

تفتحت وردة حمراء

بفخر وتمهل .

رواية تاريخية

أكتبها شيئاً فشيئاً

شاقاً طريقي كمن يمشي في الضباب

منتقلاً من المقدمة إلى الخاتمة .

كلٌ يكتب مايسمعه

وكلٌ يسمع كيف يتنفس

ثم يكتب كما يتنفس

دون أن يداري أحداً .

لماذا ؟ ليس هذا شغلنا .

ولأي شيء ؟ ليس لنا أن نحكم .

كانت هناك آفاق صافية

وكانت هناك حكاية مُتَصَوَّرة

ومن مصيري شخصياً

رحت انتزع خيطاً فخيطاً . . .

جهزت أبطالي للطريق

وقمت بتحريات عن الماضي

وتصورت نفسي ضابطاً متقاعداً

ليس التصور خدعة

ورؤوس الأقلام ليست كل شيء

امنحوني الفرصة لأكمل الرواية

حتى آخر صفحة فيها

وطالما بقيت حية

تلك الوردة الحمراء

في الزجاجة المعتمة

اتركوني أصرخ الكلمات

التي تراكمت طويلاً في الحصّالة .

لن نضن عليه بثمن

هنا . . . لاتغني العصافير

هنا . . . لاتنبت الأشجار
هنا . . . نحن فقط ،
كتفاً إلى كتف
نلتحم بهذه الأرض .
الدنيا كلها تلتهب وتدور
والدخان يخيم على وطننا
وهذا يعني أننا لانحتاج إلاّ للنصر وحده
لنصر يكفينا جميعاً
ولن نضن عليه بثمن .
هنا تنتظرنا نار قاتلة
ومع ذلك فلا قوة لها
لامكان بيننا للشك
خرجت كتيبتنا في الليل وحيدة
كتيبتنا ، كتيبة الإنزال العاشرة .
لم تكد المعركة تنتهي
حتى صدر أمر آخر
وكاد ساعي البريد يجن وهو يبحث عنا
ثم انطلق سهم أحمر

وهدر رشاش دون توقف

وهذا يعني أننا لانحتاج إلاّ للنصر وحده

لنصر يكفينا جميعاً

ولن نضن عليه بثمن .

من كورسك وأريول

رمتنا الحرب

حتى بوابات عدونا

هذه ياأخُ حالنا

سنتذكر هذا ذات يوم

أما الآن فنحن لانحتاج إلا للنصر وحده

لنصر يكفينا جميعاً

ولن نضن عليه بثمن .

وجه من الشعر الفرنسي الحديث

جاك بريفير

ترجمة : محمد الأرناؤوط

عن الفرنسية

جاك بريفير JACQUES PREVERT شاعر فرنسي ، ولد في عام ١٩٠٠ في نويي NEUILLY . بدأ في كتابة الشعر في سن مبكرة ، كتب للسينما ، والمسرح ، غنى أجمل شعره للحقيقة والحياة والانسان . وأعذبه للحب والجمال والنفس الطاهر ، وأعمقه للمعاناة البشرية والجرح والجوع .

بربارة

تذكّري ، يابربارة
كانت السماء تمطر دون انقطاع على (برست) في ذلك
اليوم
وكنت تمشين مبتسمة
متهلّلة مفتونة ، متصبّبة
تحت المطر
تذكري ، يابربارة
كانت السماء تمطر دون انقطاع على (برست)
ولقيتك في شارع سيام
كنت تبتسمين
وانا كنت ابتسم بالمثل
تذكري ، يابربارة
انت التي ماكنت أعرفها
انت التي ماكانت تعرفني
تذكري
تذكري مع ذلك اليوم ذاك

ولا تنسي

كان رجل يحتمي في احد المداخل

ونادى باسمك

بربارة

فجريت اليه تحت المطر

متصببّة ، مفتونة ، متهلّلة

وارتميت بين ذراعيه

تذكري ذلك يابربارة

ولا تأخذي عليّ ان اخاطبك دون كلفة

هكذا اخاطب كل الذين احبهم

وإن رأيتهم مرّةً فحسب

اخاطب دون كلفة جميع المتحابينَ

وإن كنت لا أعرفهم

تذكري يابربارة

ولا تنسي

هذا المطر الهادىء والسعيد

على وجهك السعيد

على هذه المدينة السعيدة

هذا المطر على البحر
على مضنع السفن
على سفينة « الويسّان »
أوه يابربارة
الحرب ، يالها من حماقة !
ماعساك صرت الآن
تحت مطر الحديد هذا
مطر النار والفولاذ والدم
وذاك الذي ضمك بين ذراعيه
ضمَّ الأحبّة
هل مات أم اختفى ، ام هو حيّ يرزق
اوه يابربارة
السماء تمطر دون انقطاع على (برست)
كما كانت تمطر من قبل
ولكن الحال لم يعد ماكان وقد ألمَّ الخراب بكل شيء .
انه مطر حداد رهيب مطر مفجوع
لم يعد حتى عاصفة
الحديد والفولاذ والدم

انها محض سحب
تنفق كالكلاب
كلاب تتلاشى على صفحة خيوط الماء المنهمر فوق
برست
وتمضي لتتفسخ في البعيد
في البعيد البعيد جدا عن (برست)
التي لم يبق شيء منها

شكوى فانسان

(الى بول الوار)

في (آرل) حيث يجري (الرون)
وفي شمس الظهيرة المريعة
يرسل رجل من فوسفور ودم
شكوى آسرة
كشكوى امرأة تضع مولودها
فيصير القماش أحمر
ويولي الرجل هاربا وهو يصرخ بأعلى صوته

تطارده الشمس

شمس من صفرة فاقعة

ويصل الرجل الى الماخور القريب من « الرون »

وكأنه ملك مجوس يحمل هديته اللامعقولة

إن له نظرة زرقاء عذبة

النظرة الحقيقية الثاقبة المجنونة

التي لأولئك الذين يهبون الحياة كل مالديهم

اولئك الذين لاتحركهم الغيرة

ويكشف للبنت المسكينة

عن اذنه الملقاة فوق القماش الابيض

فتبكي دون ان تفهم شيئا

سارحة الفكر في نذر مشؤومة

وتنظر الى المحارة القبيحة اللدنة

ولا تجرؤ على اخذها

حيث تختلط زفرات الحبّ الذي مات

واصوات الفن اللاانسانية

بوشوشات البحر

وتمضي لتموت فوق البلاط

في الغرفة حيث اللحاف الاحمر
حمرةً زهت فجأة
يمزج هذه الحمرة الشديدة الحمرة
بالدم الاشد حمرة
دم فانسان المشرف على الموت
والهادىء هدوء
صورة البؤس والحب نفسها :
وتنظر البنت العارية الوحيدة التي لاسنَّ لها
تنظر الى فانسان المسكين
المصعوق بذات عاصفته
يتهاوى على البلاط
راقدا في أروع لوحاته
وتبتعد العاصفة مهدّأة لامبالية
وهي تدحرج امامها دنان الدم الكبيرة
عاصفةُ عبقرية فانسان التي تخطف الأبصار
ويبقى فانسان نائما ، حالما ، محشرجا
والشمس فوق الماخور
كبرتقالة مجنونة في صحراء لا اسم لها

الشمس فوق (آرل)

تدور صارخة بأعلى صوتها .

هو فانسان فان غوغ *VINCENT VAN GOGH* (١٨٥٣ - ١٨٩٠) ، الرسام الهولندي الواقعي المتوقد المعروف . وموضوع هذه القصيدة هو ماروى من ان فان غوغ قد اقبل ، وهو في ثورة غضب وذهول نفسي ، على اقتطاع اذنه اليمنى بالموسى . وذلك غداة خصامه مع *Gauguin* ، الرسام الفرنسي الشهير أيضا ، الذي كان أنئذ يساكنه في (ارل) ، في جنوب فرنسا . وقد اثارت غرابة الحادثة فضول الناس ، واغرتهم بشتى التأويلات ، ولعلها - كما يقول أحد المؤرخين له - قد شغلتهم قدر ماشغلهم فن هذا الفنان المتوحد نفسه . وقد مات منتحرا بعدها ببضعة أشهر ، تاركا ، فيما ترك من آثاره ، لوحتين شخصيتين رائعتين : الرجل ذو الأذن المقطوعة ، وفان غوغ في فمه غليون .

المترجم

بول إلوار *Paul Eluard* (١٨٩٥ - ١٩٢٥) ، شاعر سريالي فرنسي من أكبر الغنائيين الفرنسيين المعاصرين . دعي بشاعر الحب والاخاء . من أقواله : منذ زهاء ١٠٠ عام ، نزل الشعراء من قممهم . انطلقوا في الشوارع . شتموا سادتهم . لم تعد لهم الهة . يجرؤون على تقبيل الجمال والحب على الافواه . تعلموا اغاني ثورة الجماهير التعسة . ويحاولون ان يعلموها اغانيهم . . »

المترجم

المصدر : المجموعة الشعرية *PAROLES* ، للشاعر *JACQUES PREVERT* ، طبعة ١٩٧٢ (غاليمار) ، سلسلة (فوليو) رقم ٧٦٢ ، الصفحات ٦٦ ، ١٠١ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ .

عشر قصائد للشاعر السويدي

غونر ايكولوف

١٩٠٧ - ١٩٦٨

ترجمة : عبد النبي اصطيف

عن الإنكليزية

الشاعر :

ولد غونر إيكولوف في استوكهولم عاصمة السويد عام ١٩٠٧ ، لعائلة اجتمع فيها النبل والثروة . وأراد أن يكون عازفاً للبيانو فذهب إلى باريس لدراسة الموسيقا هناك ، ولكنه لم يلبث أن غادرها ليدرس اللغات الشرقية في جامعتي لندن وأبسالا APSALA في شمالي السويد .

اكتشف في سن مبكرة من حياته ديوان محي الدين بن عربي : ترجمان الاشواق ، وغدا كتابه المفضل لسنوات . وقد تعلم منه - كما يحدثنا هو نفسه - ماذا تعنيه السريالية والرمزية . كان شعره منذ البداية

مزيجاً متميزاً جداً من الإشارات الخاصة الملغزة والاعترافات البسيطة المألوفة . ويعكس ديوانه الأول « على الأرض متأخراً » (١٩٣٢) نظرة مشروخة في الأساس حيث يتحرك الذات والموضوع دون أية صلة كما هو الشأن في حالة الذهول أو النشوة . وفي حين إنه سماه « كتاب انتحاري » فقد اعتبره البعض – رغم اصرار إيكولوف على رفض هذا الزعم – مستوحى من السريالية الفرنسية . ورغم ذلك فقد حمل معه تجديداً جذرياً للشعر السويدي .

تقلب شعره في الأربعينات بين الصوفية والفكرية (أغنية المعدّية : ١٩٤١) . وفي الخمسينات بدأ بالترويج لشعر مناهض للجمالية على نحو صريح (ليلة في أوتاكان : ١٩٦١) ، ولكنه عاد للتأمل في تعددية الماضي والمستقبل وموضوع الموت في الحياة في بداية الستينات (مرثاة لمولنا : ١٩٦٠) .

ومن الجدير بالذكر أن إيكولوف إضافة إلى دواوينه التي تبلغ خمسة عشر ديواناً ، ترجم العديد من الشعراء الأجانب إلى السويدية منهم إليوت ، جويس ، أودن ، بودلير ، ورامبو وغيرهم . وهو دون شك حسب رأي الكثيرين من أعظم الشعراء الغنائيين الذين أنجبتهم السويد ، إن لم يكن أعظمهم بالفعل .

وربما كان من أبرز مانظم ديوانه الثلاثي ديوان ، **فطومة** ،

وفـاغفيسار ، الذي كرّسه للحب وأشبعه بالتوحد والوجد الصوفيين . وقـد ظهـر بين عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٧ . وعلى ذلك فإن هذا الديوان هو من أواخر نتاجه وأفضله وأكثره نضجاً .

بقي أن أشـير إلى أن القصـائـد العشـر مأخوذة من هذا الديوان ، الـذي سبق ظهـوره موت الشـاعـر في عام ١٩٦٨ بالسرطان ، وقد أودع رفـاتـه في المـدينة القديمة : سرديس ، في غربي الاناضول ، التي كانت من أكـبر المحطـات التجـاريـة بين الشـرق وأوربـا في الفـترة مابين عهد الاسكندر والامبراطورية البيزنطية .

★★★

القصائد

(١)

في أحلامي أسمع صوتاً .
حبيبٌ ، هل تريد هذه البصلة ؟
أو شريحةً منها فقط !

عندها

وقعتُ في قلقٍ عظيم .

هذا السؤال الملغزُ

كان سؤال حياتي .

هل فضّلتُ الجزء على الكل .

لا ، فقد أردت كليهما

جزء الكل ، والكل معاً

فهذا هو الخيار الذي لايحمل أي تناقض

★★★

(٢)

أتحدثُ إليكِ

أتحدّث إليكِ

من أعماقِ نفسي

أعلَمُ أنك لاتجيبين

وكيف يمكن أن تجيبي

عندما يهتف الكثيرون لك

كل ماأسأله هو السماح

بأن أقف هنا أنتظر

وأن تمنحني علامةً

من داخل نفسي ، من نفسك

★★★

(٣)

هل أنت وحيد

لتكن إذن !

سوف تستحوذ على قطار عظيم

في النهاية

★★★

(٤)

خذي بيدي أيتها الأميرة
تعالي ، لنمض الآن
عائدين إلى أرضنا الأولى

★★★

لايستطيع أحد أن يؤذينا
ونحن لانؤذي أحداً

★★★

صير ورتنا مكفوفين تشحَذُ الرؤيا
حتى يعمّ النور
نور الذاكرة

★★★

(٥)

أشعر بذراعيك حولي
غير مرئيتين ، ولكن حاضرتين
سمحت لي أن أُ قبّل
أحد نهديك
ذاك الذي يعلو قلبك
ثم غادرتني
بعد تقبيل جفنيّ

★★★

(٦)

صعب أن تعاني
وصعب أن تعاني دون حب
ومستحيل أن تحب دون معاناة
وصعبٌ أن تحب

★★★

(٧)

الولادةُ بسيطة

فأنت تصبح نفسك

والموت بسيط :

فأنت لم تعد أنت .

وربما كان الأمر على العكس

كما هو في عالم المرآة :

الموتُ يمكن أن يكون قد أتى بك

والحياة أطفأتك

يستوي الأمران على هذا النحو :

من الموت انبثقت

والحياة تمحوك بالتدريج .

★★★

٨

الحبيب

لم تكن الشمسُ ،

ولا القمرُ

ولا النجومُ ،
مامنحني النور
بل الظلام
ونور الحب في داخلي
الذي تتخلل إشعاعاته جسدي .

★★★

كأني لم أكن أي شخص .
أنتِ ، أنت يافطومة التي منحت
روحي ظلاً
وهبتني مصباحاً فضياً
بعد أن مضيتِ

★★★

أنت يامن له القوة
ليكون ليناً
لا ليرغب
لاليوجد

مَن لايحبك !

من يحررنا من الحب ،

الميلاد ، الألم ، الموت !

★★★

(١٠)

فكرت لوقت طويل

بها

تلك التي كانت جميلة

جمالاً غير مألوف

ياإمامي

أرسلتَ لي علامة من الفردوس

لم تكن غير عادية ، أكثر من نظرة خاطفة لطائر

ولكنها على أية حال علامة .

امتناني سيبقى أعظم من هديتك

فعلامتي علامة عظيمة

أعظم من علامتك

لأن شخصاً ما ، أعظم منك قد لمسني

وهكذا أحسست

كأني ببطء

ببطء مشيت

أنتظر أن يُلحق بي

وأُ قادَ من يدي

في زقاق ، ومنه إلى آخر .

والرغيف الأول الذي أتناول

سيكون تقدمة لك

★★★

أنظر :

Gunnar Ekelof , Selected Poems

Translated By W . H . Auden & Leif Sjoberg

LONDON 1971 .

ثلاث قصائد للشاعرة البلغاريّة

فانيا بيتكوفا

ترجمة : حسين راجي

ولدت الشاعرة البلغارية « فانيا بيتكوفا » في مدينة « صوفيا » عام ١٩٤٠ وانهت دراسة الأدب في جامعتها .

تعتبر « فانيا بيتكوفا » من ابرز الشاعرات البلغاريات المعاصرات اللواتي تميّزن بالشعر الغزلي – الشخصي ، اذ أغنت بانتاجها في هذا المجال ديوان الشعر الغنائي البلغاري . . . غير ان هذا لم يبعدها عن الاهتمام بما يجري على كوكبنا الأرضي وبهم قضايا التقدم الانساني .

ان لفانيا بيتكوفا اسلوباً شعرياً متفرداً وأصيلاً يجتذب يوماً

بعد يوم مزيداً من القراء البلغار المعجبين بموهبتها وفنها الشعري المتقدم .

وقد علمنا ان هذه الشاعرة البلغارية قد انتقت وترجمت ، في الأونة الأخيرة ، مجموعة من الشعر العربي المعاصر ! !

١ - أحبُّك

أحبُّكَ
أحبكَ باصابعك المرتجفة
أحبكَ
بشفاهك وشعْرِك
أحبك بالغمازات البُنّية
أحبكَ بين الغيوم . فوق الأرض
أحبكَ
في كأسِ زهرةِ « شقائق النعمان »
في قطرةِ عسل . في نقطة سم
احبكَ بانفاسك في العتمة

احبكَ تحت القمر القديم ، مع القمر الجديد

احبكَ في المطر . في الدغل

مع النحل وقد لقح السهل

احبكَ

ضاحكاً ، غاضباً ، باكياً

احبكَ

الى نهاية القلب

احبكَ

رغم انك غريب بدوني

احبكَ

في يقظتي ، وفي منامي

هكذا احبك كثيراً الى درجة لاتقدر

حتى ولو اصبحت لك بعدي امرأة

فأنني أبقى بلا حبك غريبة

جزيرتي غير مكتشفه

موحشة رهيبة

الرياح وحدها بحاجة الى المبيت

فوق ساحلي الجميل

طيور النورس مع الأمواج تقبّلني

وأنا شاهدة للحب الغريب

وحيدة مع الاسماك الطيبة طائشه

انتظر الصيد المنقذ

انتظر في النهاية الشبكة الذهبية

العبودية التي تليق بي

انه شيء حلو ومر في آن واحد

ولا مفرّ منه

ان يحبني احد ما ، في مكان ما

لكنكم ايها البحارة والصيادون

والقراصنة . . تخافون

الخوف يسيطر عليكم

لان جزيرتي بركانية ومحرقة

من يطؤها يتحول الى رماد

من أجل هذا

وحيدةً يجب أن أحب !

أ حبكَ

أحبك هكذا

احبك
مع النبيذ والخبز
اقدمها لك بيد طفولية .

٢ - البداية

أين أنت ، ومن أنا ؟
احسُك في دمي
جزيئات من عوالم اخرى
في حالة ذوبان . .

وفي الهواء
وفي هالة الشمس
وتحت وابل الامطار الكونية
احسُ تلك الجزيئات
وهي تتفجر من انين تأملي الملهوف

أفما نتعلم
اننا جميعا دونها حدود

نخاطب التراب والماء

بلغات كيميائية

كي نشكل ذواتنا دون اخطاء

اين انت . . ومن أنا ؟

وماهي رياحين الحقول

والاشجار الاكثر حكمة من الصمت

والتراب الذي منه انبثقنا

والعسل والشمع

وقد نضجا في خلايا العقل . .

اين انت . . ومن أنا ؟

ابتسامة هذا الكون

أم شرارة من احتكاك المجرّات

أم عنصر لم يكتشف بعد

حار فيه الباحثون . .

لعلها البداية

بداية الاشياء

سامحيني ايتها الحقيقة

على هذه الوساوس الرهيبة

فان عذري في ذلك

هو انني مازلت ابحث عن ذاتي ! !

٣ - يوم الثلاثاء

سأموت يوم الثلاثاء

في صيف متأخر

مثل نبيذ في كأس نهار كريستالي

لم يُشرب بعد

وستحلق فوقي طيور مجهولة

تصفق باجنحتها الواجفة

اجل . . أنا التي اعرف

سأموت يوم الثلاثاء

في ارض بعيدة

وتحت شجرة ستظل صامتة

لن تتحدث عني بشيء
لن تعترف بانني كنت امرأة طيبة
بل أو حتى سيئة
كما يحسب بعض الناس

سأموت يوم الثلاثاء
وعندما ستعلمون بذلك
من حفيف اشجار الحور الشقراء
اخلعوا احذيتكم بهدوء
وانتم تدخلون بيت أمي
وعلى قيثارة قديمة
أنشدوا ولومقطعاً صغيراً من شعري
ولا تنسوا ان تقبلوا طفلتي الحبيبتين !

اجل . . اكذبوا عليهما
وقولوا لهما
انني سأعود إليهما
بالبرتقال . . والأغاني . . وخاتم العرس !

اكدوا لهما انني سأعانقهما

وسيكون لقاؤ نا ابدياً . . لاوداع بعده

قولوا لهما انني كنت سعيدة

ومازلت فتيّة وجميلة

ومجنونة ايضاً

اكذبوا عليهما

وقولوا لهما انني رائعة

كزنبقة في ليل ربيعي

لكنني مت يوم الثلاثاء

ستمر الشمس فوق التل

وسيتقدم الليل بثوبه الأزرق

أما هنالك

حيث انا

فسيمتد . . سيمتد الشفق ! !

قصائد من بنغلادش

شمس الرحمن

ترجمة : أكرم سليمان

عن الروسية

شمس الرحمن شاعر بنغلادش ولد في عام ١٩٢٩ . تخرج من كلية الآداب في جامعة داكا . ألف أكثر من عشرة دواوين شعرية منها :

- « الأغنية الأولى قبل الموت الثاني » عام ١٩٦٠
- « ضوء الشمس على الجبين » عام ١٩٦٣
- « الزرقة المحطَمة » عام ١٩٦٦
- « على أرض الوطن » عام ١٩٧١
- « من معسكر الاعتقال » عام ١٩٧٢
- « لقاء في غير أوانه » عام ١٩٧٣

وغيرها . والشاعر شمس الرحمن معروف أيضا كمترجم وصحفي . ترجم إلى اللغة البنغالية « هاملت » لوليم شكسبير ، ومختارات شعرية لروبرت فروست .

ننشر فيما يلي مجموعة مختارة من أشعاره . وتتضمن قصائد ترجع إلى سنوات مختلفة من حياته الأدبية .

هذه المدينة

هذه المدينة تستجدي الصدقة من السياح .
هذه المدينة تعرج ، في أسمالها البالية ، عارية الساقين .
هذه المدينة تلعب بسباق الخيل ،
تستمرىء الغباء سكرى بخمرة النخيل ،
تمدّ رجليها في الظلّ ، تقتل القمل ، وكذلك البق .
أحياناً تدسّ يدها في جيوب الآخرين
وتولي هاربة من الشرطي .
أحياناً تتأمل فيما حولها بعينين أشد حمرةً من القمر
هذه المدينة تثرثر بلا معنى ،
تقرأ الأشعار غيباً ، تترنم بالأغنيات ،

في المصانع المندفعة تسكب العرق أنهارا .
أحياناً تفكر بأغنيات المهد أوْ
تتعلق عيناها بفتاة ،
تقف على الشرفة صامتة .

هذه المدينة ، التي كواها الحرّ وبلّلها المطر ،
تجر العربات ؛ وحين يقبل الليل ،
ظمأى لتسليات الجسد تسرع إلى بيوت المومسات .
هذه المدينة في عنابر المشافي البيضاء
تتقلب تحت الملاءات .
هذه المدينة لاتعالج السيفيليس .
هذه المدينة تتضور جوعاً على أبواب الأولياء ،
على يديها وصدرها تعلق التمائم والحبال المقدسة ،
تبصق دماً في الليل والنهار .

هذه المدينة دائماً تجد من تدفنه .
هذه المدينة تنتف شعرها ،
تضرب رأسها بحيطان الزنزانات ،

هذه المدينة تعترف بالجوع حقيقةً وحيدة ،
وهي تَنْفُقُ في الرغام .
هذه المدينة تُهرع إلى مشاهدة العروض ؛
بروحٍ غُصَّتْ بوشم الملصقات ،
مثل شخصية إيلغريكويّة* ،
تلامس الزرقة النبيلة في السموات . .
وفي كل يوم تدفع عن نفسها خطر الضّباع .

ولكن قبلُ . . .

ربّ سماء ، شجرةٍ ، نهر
أو ثبات وجه كأنه من حجر ،
ضوء قنديلٍ في الضباب ، صرير قفلٍ صَدِىء ،
وركُ خادمة ، هفوة عابرة

أو ليلة بمائة صوت تأتي إليّ جميعها في مقطع شِعْر . .

---

* EL GREKO (١٥٤١ - ١٦١٤) - رسـام إسـبـاني من أصلٍ يونـاني ، ينتمي إلى عصر الباروك المبكر . تميزت لوحاته بالوجوه المتطاولة ، والإضاءة غير العادية .
- المترجم

ولكن قَبْلُ – مدوّياً ينطلق فوقيَ القطار ،
ويزحف الى عينيّ سرب من الذباب الأحمر ،
وتمزق لحمي إرباً إرباً جوارح الطير .

كيف أنصح ولدي ؟

كيف أنصح ولدي
أن يشعل النجوم ؟
بينما
الكبار لا حاجة بهم إلى النجوم .
وها نحن ، عمياً فاسقين ،
دون قدر من فلاح
نكنس الأوساخ ، ساعين في الظلام .

كيف أنصح ولدي
أن يقول الحقيقة ؟
بينما

ينام فينا الضمير منذ سنين .

والتجربة اليومية للراشدين

ماتزال تكنز الكذب عبر القرون .

حتى غدت والغشّ كلاً لايبين .

كيف أنصح ولدي

أن يفعل الخير ؟

بينما

على الأرض يستفحل الشّر ،

لأن الحقد والبغضاء ،

في الليل والنهار ،

يجيشان مثل القار الأسود .

كيف أنصح ولدي

أن يمضي عمره في الإيمان ؟

بينما

سلسلة الأجيال

في عماية الضلال

وفي بحار النفاق
تضرب في غياهب المجهول .

أنادي

أنادي ، أصرخ - وقد أتعبني منذ عهدٍ بعيدٍ النداء ،
وما من صدىً لي أو جواب .
أدخل الى البيوت - لا لقاء ، لا ترحاب ،
حتى ولا صوت . همتُ طويلاً ،
أبحث عن الناس ، فجأة - وجدتني عند تقاطع الدروب . ،
وقفت مذعوراً - ثمة أحدهم (حدث هذا !)
يمشي إليّ . هوذا بالجوار .
أصرخ - لكن لا صراخ ، الحي خاوٍ .
كأن الموت قد جاء إلى هذه الديار
سلطاناً . في العالم الموحش
تحطمت الساعة . ولا من يندب
حول هذا الفراغ المخيف .
عبر جسم المدينة جنباً - جنباً
وحده السرطان يحث الخطى إلى أمواج الصمت .

مزمار الصفيح

وأنا أيضاً كنت صبياً في السابعة من العمر
وتخيلت سريري جزيرة الكنوز ،
وبحثت فيه عن كل نفيس . خرجت الى غابة اهنود
أطوف فيها زعيماً - متأبطاً فأسي .
كانت قافلتي تسعى لاهثة في الصحراء .
وعند منتصف النهار ، الى الظلّ جاء عازف المزمار
يداعب مزمار الصفيح - يرسل نغماتٍ شجيّة
ملأت نفسي حبوراً ، تألقت بحماسةٍ بنغالية .
في ظهيرة العمر أفكر : وفجأة ،
كما في ذلك اليوم ، يأتي الى الزاوية حيث الكشك ،
ليعزف لحنه ذاك ؟ وماذا لو أن مزمار الصفيح
يثير مشاعري في غمرة المتاعب اليومية ؟
هل سأفرح ؟ ألقي بقطعةٍ نقدية ؟ دعابة . .
ذلك العالم ولى - والصبيّ ذاك ، والصوت . .

إلى زُهرا

عجيب امري ، لا أرسو على قرار - ولا أنعم بالصفاء :
من الطريق في وضح النهار أخاف ،
في عتمة السلّم أخاف -
فيا للشيطان ، ماذا دهاني !
وحياتي أشبه بالبكاء
في غابةٍ كثيفة عذراء ،
لا أحد سواي -
وحدي أنا المسؤول ،
عن طول ترحالي بحثاً عن المأوى ،
لا ملاذ على دربي . وحده الرّعب في الظلام
يتطاير الشرر من عينيه كأنه الوحش . وكل شيء من حولي ينهار ،
يتخلى عنيّ . . لكن أحدهم يهتف بي :
« عمَّ تبحث ياشمس الرحمن ؟ » - ويتوارى في عتمة البستان وأنا أصرخ به .
أناديه . أتلهّف على جوابه .
لا أحد . صوتي وحيد . بلْ - لا صدى . .
الزرقة ،

التي أحببتها دائماً ،

ما برحت

تنهار مِزَقاً ، تنزف دماً كالجرح .

سؤال الى العليّ القدير

يارَبِّ ! مادمت قد خلقتني ،

فلمْ ليس طائراً - ببغاء ؟

على قدر قفصي أدوّر ذنبي بذكاء ،

أقشر البذور وأشرب بعدها الماء ،

وأردّد ماتعلمته من هراء ،

غريباً عن الإحساس بها في الكلمة من عناء .

* البيت

أنا في بيتي أشد سكوناً من السكون -

أهل البيت تثيرهم خطواتي ،

ويستيقظون من نومهم غاضبين ،

لذا التزم الهدوء - ذلك عين الصواب .

الجميع في البيت يختالون جمالاً ، والكبار
تلاوة القرآن من المذياع يقدسون ؛
بينما البنات يَزْددن بهاء ، ويكبر البنون ،
ويترعرع جيش كامل من الصغار .

بقرع الطبلُ في حَي عمال التنظيفات ،
يزأر مكبر الصوت من فوق الجدار ،
والكل يريدون الثقافة في المعلبات .

ولاشيء سوى ضجيج الكلمات . لكن خداعاً
تجسدت كل أحلام الهناءة . تنام دارتي -
هذا البيت المشاكس . ويتألق شمل النجوم .

النار

عرفتها في كل زمان -
تحرق الضياع والبلدان .
أمعسكراً للأعداء ، أم بيتاً بشوشاً كان -

لظىً هي على الكل لايرحم . خسارة لاتقدر ،
لكنها في طبعها - خفّية .
والعالم لايدري - أين خاتمة الحكاية :
أللأوراق الصفر تسوقها العاصفة ،
أم للثقافة ستكتب النهاية .
طبعها فيّ دفين ،
أجلس - مُغْمض العينين ،
لكن أرى - حريق الغابة يزحف إليّ ! عليّ !
و- فجأة ! - من شمعة أو بقية
يتوهج النور في شباكها .

شذى التوبيروز

أرى : في عالمنا الفاني قد حلّ المساء ،
يطلع القمر مثل سوار مكسور .
ورائحة التوبيروز تملأ الجوّ ، كأنها منذ سنوات
لم يأتنا الهواء العذب بمثل تلك الأمسيات
ولربما ترجع الى دنيانا الرتيبة بصفاء

لحظة الشعر السنيّة .

وكما في الحلم تسترخي قبضة الأشياء والرزايا الأبدية ،

ويطهّر شذى التوبيروز كل شيء في هذا العالم .

ويوقظ في نفسي

ذكريات الماضي البعيد . أذكر ،

لمسة منك - ويزهر القلب ؛

هكذا تتفتح في ضوء القمر

زهرة اللوتس الأنانية . خبزاً اليومَ

غدت لي الذاكرة . لكن أيّ خبز .

معاناة

ولدي يتلظّى في الحّمى . احمّرت

عيناه وأصبحتا مثل زهرتينْ

من أزهار كريشناتشورا . تلمست بيدي

جبينه المحموم - طريح الفراش

كانت تتقطع أنفاسه . بالكاد يختلج فيه القلب

مثل صغار الوحش في الوكر .

الريح تضرب قوائم الباب . .
الطبيب ! ويحي لقد استفحل الأمر !
كانت الزهرتان ترنوان الى عينيَّ .
« نمْ ياصغيري - قلت - وستستريح ! »
ولم ينبسْ ببنت شفة . الهرّ في الركن يضجر ،
أغالب النعاس ، أنتظر الفجر .
آه لو أقاسمك بعضاً من هذا الألم !
لكن كلاً منا في ساعات كربه وحيد .

عقبات

فكرتُ - أذهب معكِ الى الحديقة . لكن هناك
صراخ الأوباش المبحوح يشق العِنان .

فكرتُ - نسْتمتع بجلسةٍ في المطعم . ياخيبتي -
ثمة التجار والآكلون قبائل وقبائل .
فكرتُ - أتنزه معكِ في الشارع ،
لكنه مُزدحم بجموع الجائعين .
فكرتُ - ننطلق في رحلةٍ على متن زروق ،

وتغمرنا بفيضها المسّرات . .

لكن في النهر المتخم بالفيضان ،

تسبح الجواميس تارةً ، وتارةً يسبح الأموات .

في أي زمن نعيش !

في أي زمن نعيش ! شيء لايُصدق !

لو في أذنِ الكرسيّ ، المنضدةَ أو الباب همستَ بسرٍ تافه ، بهراء ،

لوشت بك جميعها إلى من يعنيه الأمر . حتى وحوش الغاب والغابات

ذاتها ، والبحيرات ، والجداول والسواقي كله سواء لايُطمأن إليها الآن -

ياللأمر العجاب !

في زمن نعيش ! في كل بيتٍ اليوم

يجلس الكذب مطمئناً ويرشف الكوكتيل باسترخاء .

ما من شيءٍ يجري إلا به .

الكل يتفانون من أجله .

العقل ، الخير ، الشهامة

تولّيه طائعةً الإمامة .

في أي زمن نعيش ! كم ضّمنا في الخريف المساء
نمشي في الحديقة معاً ، وبالقرب منا –
حشود التعساء ؛

قبلتنا يُدنّسها المتسولون
بصوتٍ واحد ، المشوهون ، الوباء ،
وتلفّ رائحة الموتى
مهد طفلنا الأول .

الزمان

طيور ووحوش ، بشر ، قياصرة ، عوالم ،
عصور ، دول وشعوب –
يجرفها الزمان ، مرسل المصيبة الحتمية ،
من صحن لعبة ميسر شريرة .
هو مثل النمر . ولائحة مخيفة .
كل شيء عابر – الجبال الرواسي ، الأرض والمياه .
كل شيء أمامه هباء – البذور والنبات .
كل شيء أمامه فناء – الخسائر والهبات .

لِمَ أتشبث ؟ الهاوية بانتظاري .
لن تحمينا الحجارة إذ تنهال الجلاميد ،
وليس في مقدورنا أن نخدع الزمان .
انت – الزائل الفاني – أيها الإنسان ،

كما من النار تهرب من فنائك . ولكن لا ريْب
في أن خدعة الخلود أنت الذي لفّقتها .

مختارات من الشعر المكدوني

أمسيات ستروغا الشعرية

تقديم وترجمة : عبد اللطيف الأرناؤوط

عن الألبانية

تقع مدينة / ستروغا Struga في القسم الغربي من الجمهورية المكدونية في يوغسلافيا ، وتبعد عن بلغراد مسافة ٦٥٠ كم . وعن مدينة / سكوبيا Skopja/ حوالي ٢٠٠ كم .

في هذه المدينة الحالمة التي تستلقي هادئة ساجية على الشاطىء الرملي من بحيرة / اوهريد Ohrid/ اذ تلامس قطرات الحب شغاف القلب ، فيزهر الشوق ويصخب الحنين ويثمل الشعر بعطاء الطبيعة الساحر ، لايجد الشاعر أمامه الا أن يحمل ربابته وينظم الطبيعة قصائد خالدة .

في هذه المدينة ذات العينين المسهدتين ، تقاطر الشعراء المدعوون من أنحاء العالم لاحياء أمسيات ستروغا . . وحمل كل منهم قيثارة الشعر ليعزف على أوتارها لحن عينين تائهتين يرى

الشـاعر من خلالها الآفاق الغامضة السحرية للحب الانساني ، حب يتوقد في مسرى الدم ويحيله جمراً لاهبا يتطهر القلب في وهجه .

في / ستروغـا / تنتشي قيثارة الشعر ، فتسجد خاشعة في محراب الجمال ، ويتفجر ينبوع الذكريات التي غاصت مع الزمن تحت صقيع الليالي .

وفي أمسيـات / ستروغـا / الشعـرية ، اختلطت الأنغام بكـل لغـات العـالم ، لكن القيثارة بقيت ثرية بألحانها ، مادامت دقـات القلب قادرة على استشفـاف اسرار اوتارها ، ومادام الهام الشاعر يكمن في الايقاع المنتظم في النسيج اللغوي .

في هذا العام ، احتفلت / ستروغا / بمهرجانها العشرين للشعـر العالمي . وبدأت ليالي الشعر الساحرة / أو سوق عكاظ العـالمي / مسـاء يوم ٢٧ آب ١٩٨١ . وكـانت الأمسيـة الأولى مخصصة للشعراء المكدونيين الذين زرعوا الأطياف في معابر الليل ،

وتتـالت الامسيات . . وانبرى الشعراء من الجمهوريات اليوغسلافية الأخرى ، فأطلقوا النشوة في مهابط الأحلام .

وكـان موعـد الشعر العالمي مساء يوم ٣٠ آب ١٩٨١ على جسر نهر / درين الأسود Drini izi / . . .

وتـرجمت القصـائد كلها الى اللغة المكدونية والألبانية وقد لاحظت أن معظم هذه القصائد التي أنشدت دلت على بُعد أكثر الشعراء عن تيار الحياة الواقعية .

لكن ذلـك لايمنـع من اختيـار بعض القصائد التي وقعتها أوتار قيثارة الشعراء من مكدونيا .

١ - الحديقة

للشاعر : ماتييا ماتفسكي

Matej Matevski

لكم تمنيت أن أغلق حديقتي
برتاج من الحلم
بمزلاج من الذكرى
بسلاسل من الهوى
لكم تمنيت أن أوصدها
ثم أسافر
على دروبي الخاصة
عبر غابات بكر .
عبر الأنسام الجديدة

★ ★ ★

لكم تمنيت أن أتركها
موصدة بباب الكلمة
لتنتظر
كما تنتظر امرأة متشردة
نهاية الحرب
كما تنتظر امرأة وفية
اكراما لحبها الأبدي
وأملها العظيم

★ ★ ★

أخيراً
غادرت حديقتي
سددت بابها الكبير
بصخرة متينة
وجعلت من الشوك سياجاً لها

★★★

هاأنا ذا الآن . .
تائه على دروب القرون
امام أيام لم تبلغ تمامها
أشعر أن حديقتي المهجورة
أخذت تتحرر
من سلاسل الكلمة
وكتل الغيوم
تثقل كاهلي
وحديقة قلبي
تتحرك
تزهو
تذوي . .
تتغضن
تنمو في الحنجرة
تطلق كلمات الوفاء

وهي تحلق
مثل خيال متلون
لكنها تعرف طرقها
حتى في الليل .

★★★

٢ - أورام

للشاعرة : سفتلانا هريستوفا

Svetlana Hristova

فوق البحيرة
تهشم الأمطار الأوراق اليابسة
وأنا أقايض الباعة من الصيادين
لي الخشف الندي
ولكم الأمواج التي تأسرها الشباك

★★★

تتساقط التنهدات عبر البحيرة
وأنا أقايض الصيادين

لي الأصداء المتحررة
ولكم الأعماق الخرساء

★★★

تتكسر الأوراق فوق البحيرة
وأنا في البدء مع الصيادين
لكم جمال اللآلىء
ولي قشور الأورام
وعلى الشاطىء تنتحر الأسماك

★★★

٣ - قوس قزح

للشاعر : نجدت بوستينا

Nejdat Pustina

تطل مثل حقل
تغطيه الزهور أبداً
مثل حب
أو زنبقة
أو رخام
فتحتجب الشمس من وراء الغيوم

وتختبيء العصافير في العشاش
وينحدر الماء عكرا الى البحيرة

★★★

وعلى القمة . .
دون لجام وحصان
تحط سبعة شحارير
وهي تغني للرغبات
أنت ياامرأة سحرية
ياعاشقة صديقة
ياحقلا من الزهر
والعشب
والمرجان

★★★

ومن حولك السماء
تلتهب بالحب
وتضج بالأمل
وتطل ، ياقوس قزح
في جلالك الملكي
كمعشوقة عذراء

لم يمسّ أحد ساقيها
ولا لامس عينيها
غير وردة اللسان

★★★

٤ - طريقان لسمكة واحدة

للشاعر : آدم غايتاني

Adem Gajtani

خطران محدقان
النهر والصنارة
وأنت يامن ولدت في البحيرة
تعرفين أسرارها
الجسر
يفصل بين البحيرة والنهر
فأين المفر

★★★

كانت البحيرة عشاً لك
تتنزهين فيها

وتسبحين
واليوم ، ثمة خطران محدقان
الصنارة المتربصة بك
تطاردك أبداً
وتغريك بالقفز

★ ★ ★

والجسر العتيق
منه يبتدىء عالم آخر
حافل بالمفاجآت
اذا حاولت العودة الى البحيرة
لتلتقي بصديقتك
وهكذا ، تلفك دوامة النهر
فتسيّرين في طريق جديدة
طريق المجهول . .

٥ - رحلات

للشاعر : فلادا أورشفيج

vlada Ursevic

في الكوخ المنعزل
يسطع قنديل متألق

وترتفع في النور راحة انسان
تشير الى خريطة الدم
أصابعها تلقي ظلالا على البحر
فتبدو في الفضاء
كأنها مهرج أو أرنب
وفي صفحة كتاب مفتوح
صورة قارب مسافر
خطوطه كخيوط العنكبوت

★★★

الكوخ المنعزل
يغفي في الحقل كتحفة أثرية
وتطل من ثنايا الغصون
بومة الليل في وهن
وفي البعيد
يظهر قطار يطارد أشباح الأشجار
ركابه يرقبون
ذالك الكوخ البعيد

★★★

سكان الكوخ
يهبطون منه صباحا

الى مدينة على البحر
يقتلون الوقت بشرب الخمر
ثم يركبون البحر الى البعيد . . البعيد
ويظل زيت القنديل
يحترق طوال الليل
وتظل صفحة الكتاب مفتوحة
على المركب المرسوم
بخيوط العنكبوت

٧ - الأوزة الفتية

للشاعر : بلازجه كونسكي

Blaze Koneski

الأوزة الصغيرة
ذات الظهر القوي
الأوزة الصغيرة المدلّلة
فاجأها المطر في البرية
حاملة على كتفها خرجها الأخضر
لكنها لم تخش العواصف
ومثل حيوان فتي شرس
تشبثت بالشجر والصخور
مبرهنة على مرونة عضلاتها

وظلت تتبختر باستعلاء
لأنها تؤمن بالحياة والفرح
جابهت الرياح المتباينة الاتجاهات
بكل عزم
لم تنهزم أبدا
ظلت صامدة
مثل نبتة تتجه الى العلاء
ماأشد ثقة الأوزة الفتية
بنفسها
بطاقتها
وجمالها
لتنساب برشاقة
وهي تسعى في الحياة
تعرف كيف تنحني لك باجلال
اذا ماضربت الأرض أمامها
بفأسك
تنحني لتلتقط الحبّ
واذا أرمضتها الهاجرة
أو بلّلها المطر
رفعت رأسها الى السماء
تحس أن عليها أن تناضل
أو تنمو فوق الأرض
مثل نبتة صغيرة

٨ - الأسبوع الحزين
للشاعر : ريستولا زوروف

Risto Lazorov

وجه يلفعه مطر السماء
والندى . .
يمتد على جذور النهار

★★★

ويختلج الأسفلت كسولاً
عند غروب شمس أيار

★★★

لعب الأطفال وحيدة في واجهات المتاجر
لاينظر اليها أحد

★★★

العابرون وحدهم
يتأملون نجوم السماء

★★★

شاعرات وجوارٍ من الصّين

ترجمة : د. ناديا خوست

عن الروسيّة

تمهيد :

تذكرنا هذه الشاعرات الصينيات القديمات ، بالجواري في التاريخ العربي ، جميلات ، ومثقفات ، عازفات ، ومغنيات ، أثرّن أحياناً في أولي الأمر ، وأحياناً كن في مراكز الأدب . لكنهن بقين في وضع المرأة في ذلك العصر . على حدود غائمة بين الثقافة والتسلية . في الشعر الذي يختلط بالغناء . مصيرهن من مصير من يقتنيهن وفي حدود رضاه .

لم تؤهل الثقافة شاعرات الصين القديمات ايضاً لمهنة مستقلة . بل كانت موهبتهن موظفة في وضعهن نفسه . فَجَرت المرأة اللامعة في الدروب الممكنة في ذلك العصر : في التسلية في البلاط أو في قصور الأغنياء . أو في بيت يحفظها لتربي الأطفال ، وتنتظر الحبيب . فكان قدر المرأة الذكية ، ان تكون معذبة بالتناقض بين حساسيتها التي تنشرها على كون ، وبين وضعها المغلق ، المحدود .

هذه الشاعرات كالجواري المثقفات ، نساء خرجن على الوضع الاجتماعي المألوف ، أو أخرجن منه . مع أنهن موظفات فيه . يظهرن لنا مدللات ، مزوقات ، راقصات ، يروين الشعر في جلسات المرح . لكنهن بذلك الطرب والثقافة يكسبن حياتهن يوماً إثر يوم . ويبقين دون حصانة ، دون حماية حتى نهاية العمر .

من هذا النوع من النساء في الصين ، ظهرت الشاعرات المشهورات ، لكن الثقافة والموهبة ماكانت نجدة فيها خلاصهن من الموت اومن السجن . وربما يضيء لنا ذلك ، الاسى الذي نراه في هذا الشعر . فنرى ان العذوبة والانتباه الى الطبيعة والزهر والمدى والثلج والحقول ، ليست فقط صفات أنثوية ، أومن سمات الشعر الغنائي . بل هي أيضاً من الشعور بالوحدة وبالغربة في المجتمع الذين هنّ فيه . ومن الوضع الذي فرض أن تبنى حياتهن كلها على علاقة من الرضا والفراق واللقاء برجل محبوب .

لم يكن الشعر لهن مهنة يومية ، هن اللواتي كانت مهنتهن أن يروين أو يغنين شعر الآخرين . فالأدب ما كان عملاً للنساء في ذلك العصر . كان

شعرهن حاجة الى التعبير عن القلب المعذب البشري . أغنية يطلق بها إنسان همه من صدره في الكون . نداء وشكوى للجبال وللفصول .

يان جوي[1] - من القرن الثاني عشر :

أتُراني أنا التي اخترت الحياة الحقيرة !

بل هي التي أُعطيت لي منذ الولادة

تزهر الزهرة

وها هي تذبل

ولكل شيء نهاية

تحين ذات يوم

وكل شيء سيكون

كما يشاء الربيع

★★★

يجب أن أبتعد أخيراً ، يجب أن أبتعد

فالحياة كما عشتها مستحيلة

آه ، لو أنني

أختبىء وراء الجبال ،
وأصبغ شعري
بأزهار الربيع
كيلا يعرف أحد
أين أنا ، وإلى أين ذهبت .

تشجوان مياوتزين - من القرن الثالث عشر

أذكر ذلك اليوم من أوّله
قدتني الى بيتك كأني لؤلؤة
أخذت أمشط شعري أمام المرآة
وأنتَ تلوّن لي حاجبيّ .

أين أنت الآن ، إلى أية بلاد بعيدة ذهبت
وحيدة أنا هنا ، في مكان غريب
لو تعرف ، كم يؤلمني أن أرى
فراشتين لاتفترقان بين الزهور

خون خويين – من القرن الثاني عشر

شجرة ميخوا
كأنها ثلج .
أزهرت وابيضت تحت الثلج
ونافسته في البياض .

ميخوا ،
كلها في الثلج
ولكن ، لايكسر روحها شيء .
فلاحدّ فيها للعنفوان .

ميخوا ،
أبداً صامتة
في انتظار ريح الشرق[٢]
فليت الريح تعود مسرعة

توسلتْ :

آه ، هبّي ،

كوني رقيقة وحنوناً

وكوني لي رائدة

تشجو شوتجن - من نهاية القرن السادس عشر

قطع الربيع نصف الطريق

أفكر بذلك في أسى

وأنا لا أجد لي مكاناً

أسرع في ساعات الفراغ الى الشرفة

ولا أنزع عن الحاجز يدي

لكن السماء لاتهتم بي

لاتهتم بعذابي وهمّي

النسيم رقيق ،

ورقيق شعاع الشمس ،

وما ألطف الطقس في هذه الأيام

لكن ذلك لايفرحني ،
ذلك للبلابل والسنونو ،

امتلأت باحتي بأوراق الزهر
طارت من الأشجار كل الزهور
والمروج المعّطرة ظاهرة في البعد
وأحلامي طارت إلى هناك .
هناك ، وراء البرج ، شجرة صفصاف
تنزل آلاف الأغصان الدقيقة
تريد أن تؤخر بها الربيع
الذي يذهب في طريقه
يحوم زغب النبات ويدور
يسبح في الريح وراء الربيع
كأنه متعطش ، يريد أن يعرف
أين يجد لنفسه المأوى الجديد
تنعكس خضرة الجبال في الماء
وتصل فجأة صرخة الوَقْوَق
فيكتئب في هذه اللحظة

حتى من لا قلب له .

رفعت كأسي : « رحلة طيبة ! »

لكن الربيع لم يجبني بكلمة

قريباً ينزل المطر رذاذاً

ويلمع في العتمة ضوء الشمس

سقط الورق من شجرة اوتونا . وبدا

ان اللقاء بالخريف حان

نشر صرير الجندب . الأسى

على الحقول الفارغة

أستند بمرفقي الى الوسادة ،

وأدير وجهي عن الشموع

كالقمر الذي أمامي في النافذة

كان مضيئاً الحلمُ الطويل .

خرجت الى الشرفة كي ألاقي

اليوم الجديد .

وانهمر الندى ، والبرد ، والريح ،

انهمرت كلها عليّ .

اوسيان – من القرن التاسع شعر

أسمع أصوات ناي زمردي
من ترى يعزف عليه .
ليل . عريشة ، وقمر يرتفع
وأسى يغمر ، ثم يغمر ، الروح

ماذا سترى في الضوء الشاحب
والأشعة لاتكاد تنفذ
كيف أعرف من يعزف على الناي
كيف أميزه ، في العتمة
الليل أصمّ ، لا صوت فيه
والهدوء يلفني
أنا والقنديل ، أحدنا أمام الآخر
وظلّي أيضاً معي .

ينفد الفتيل . بعد لمحة
لن يبقى ضوء

فمن سيذكرني يوم لايبقى مني
حتى الظلّ .

اوتزاو - من القرن التاسع عشر

تزيانان .
أذكر ، خاصة ،
ظلال حدائقها
في الغرفة الشرقية
أتفرج على السيف في إعجاب
ونرفع الكؤوس
في الباحة الغربية
نسرج خيولنا
وبين النساء
يمكن ان تلقى الجزيئات[٣]

(١) حكم عليّ الشاعرة يان جوي بالسجن . ومن ذلك رغبتها بالهرب وراء الجبال

(٢) ريح الشرق من بشائر الربيع

(٣) لاتبالي الشاعرة او تزاود بغضب البلاط المنشوري ، فترسم بطلة يحركها الشعور الوطني فتتأمل السيف في إعجاب وتحلم بمعركة .

قصائد من الصين

ترجمة : ابراهيم بربر أمين

عن الإنكليزية

جبال (ليانغ شان) الجديدة

للشاعر ليانغ شانغ شوان

جبل (ليانغ شان) الصغير يبدو كبيرا

جبل (ليانغ شان) العظيم يبدو صغيرا

لكنه كبيرا كان أم صغيرا

فانه لابس ابهى حلة .

قطعان من الاغنام تثغو على سفوح من الأزهار البرية
مجموعات من الزهور البرية تضحك للاغنام
لكن اي منها الاغنام او الزهور ،
لا أحد يعلم غير الراعي على الجبل .
اقنية تدور حول الجبل
مثل اعنة من فضة براقة ،
فهل هي اقنية ، ام اعنة فضية ؟
نباتات الارز حيث تسأل ، تحني رؤوسها بساطة ،
حقول القمح المتدرجة تعلو الى السماء
مثل سلم ذهبي . أعلى ثم اعلى
فهل هي حقول قمح أم سلالم من الذهب ؟
خير لك ان تسأل الوقواق عن الجواب .
قطعنا تسعا وتسعين قمة ،
وعلى كل منها تشرق الشمس .
غنينا تسعا وتسعين اغنية
وكل اغنية منها جديدة

لقرون خلت ظللتنا الغيوم السوداء

وقد ساقوا العبيد المستيقظين بعيدا
لقرون خلت ظلت تلك القمم مغطاة بالصقيع
واغنيات البهجة اذابت الصقيع بعيدا .

جبل (ليانغ شان) الصغير يبدو كبيرا
جبل (ليانغ شان) العظيم يبدو صغيرا
لكنه كبيرا كان ام صغيرا
فانه لابس ابهى حلة

حاملات الأحزمة

للشاعر لوي تسو - تزو

كل الفلاحات في المضاب
لهن احزمة على ظهورهن
احزمة تنسدل على اكتافهن
مثل جداول تنحدر فوق جرف صخري

بعض هذه الاحزمة اخضر كالاشجار ،

وبعضها احمر مثل الورود ، وأُخَرُ بيضاء كالغيوم . .
ربما السبب في عيد الهضاب
حب النسوة لألوان قوس القزح
في الربيع يذهبن الى الحقول مفعمات بالأمل ،
في الخريف يرجعن بثمار عملهن .
اطفالهن على ظهورهن ، ويسقين القطيع عند الغروب
وحقول الملفوف عند الغسق . .

في الايام الماضية في سنين الشقاء ،
حملن الارز للهالكين ، وللمرابين ،
حملن اطفالهن الجياع للهرب من المجاعة
يتلمسن طريقهن من قرية الى اخرى . .

ثم ليكسبن الحرية
حملن الذخيرة عبر خطوط الاعداء ،
على اطلال العالم القديم ، ذرفن دموعا حارة
ولوحن باحزمتهن لتحية الشمس المشرقة .

لَسْنَ بحملة احزمة بسيطات :
ففيهن انضفر الماضي بالمستقبل
فاي حمل لايستطعن حمله
انهن قويات بما يكفي لازاحة الجبال . .

والآن نحن الشباب قد جئنا لجعل هذه الهضاب منزلا لنا
وعلينا ان نحوك مثل هذه الاحزمة
وان نروض انفسنا لحمل الأعباء الثقيلة
وحمل امل شعبنا والسير قدما للمستقبل .

نبتات الارز

للشاعر وانغ كيوي - هو

قلبها في فراش نبتة الرز ،
وسرير نبتة الرز في قلبها ،
هذه الصبية ونبتاتها من الارز
لايفترقان .
في الليل الهادىء
تتمتم في نومها :

« موجة برد قادمة
علي ان أضيف السماد
لأبقي النبتات دافئة . »
النجوم تومض في الاعالي
حينما تستفيق من حلمها
الريح الجنوبية تهب
وهي تتفقد سرير النبتة :
الماء والسماد كاف تماما
آه يالدفء الربيع يا لشمسه المشرقة !
بهجة الربيع -
قلب احمر كاللهب
تضيف خضرة يانعة
الى فراش النبتة .

اغنيات **بعثة التنقيب**

للشاعر يانغ هو - لو

أ - نزهة في الجبال

قضوا يوما بطوله
يتسلقون هذا الجبل

وعندما يصلون القمة

يتأرجح القمر عاليا في السماء

على صخرة مستوية

قد مُدت المائدة

مطرات من ماء الينبوع

أحلى من اي نبيذ

وتوت واطعمة جافة ،

بينما القردة والسناجيب

ترقب باعين حاسدة

لاكتشاف مناجم جديدة

يتحدون الريح والندى ،

رفقتهم الوحيدة : القمر والنجوم .

الفتيان يسألون : هل نعسكر هنا ؟

الفتيات يجبن : كلا على القمة !

وحينما توقظ اغنياتهم الجبال الوعرة ،

يغرق القمر بالضحك

والنجوم تغمز بطرفها فرحا .

المرصد الأدبي

حوار مع الروائي الألماني وولفغانغ هيلد

محمد منذر لطفي

عام ١٩٧٨ ، وفي النصف الثاني من نيسان ، تم تعارفنا في مدينة « فايمر » عندما كنت أحد أعضاء وفد اتحاد الكتاب العرب الذي زار جمهورية ألمانيا الديموقراطية الصديقة ، وكان وقتها في الثامنة والأربعين . . طويل القامة ، أبيض اللون ، على وجهه مسحة طفولية محببة ، هو الى السمنة أقرب منه الى النحافة ، صادق الحديث ، نقي السريرة ، حافظ الود ، طيب القلب ، مخلص في موقفه . . ومع أصدقائه ، يقيم في مدينة « فايمر » احدى أجمل وأعرق مدن ألمانيا الديموقراطية على الإطلاق .

باعه في الكتابات الروائية طويلة . . وخمائله فيها وارفة ظليلة ، صدر له حتى الآن أكثر من خمسة وعشرين رواية ، لعل أبرزها [ضوء الشموع السوداء] و[اختبار القوة] و[التغالب] ، وقد كرَّس الأخيرة منها للدفاع عن الحق العربي في فلسطين ، إذ يُعتبر والكاتب الناقد المسرحي « راينر كيرندل » - الذي يشغل منصب نائب رئيس اتحاد الكتاب ببرلين - من أبرز الكتاب الألمان الذين يقفون بصلابة ووضوح وحزم الى جانب الحق العربي في فلسطين ويؤيدون شرعية العمل الفدائي ودوافعه الإنسانية ، كما يؤيدون الأمة العربية في صراعها مع الأمبريالية والصهيونية في الوطن المحتل وفي أرجاء الوطن العربي كافة . .

سبق له أن زار سورية للمرة الأولى منذ سبع سنوات مع وفد من اتحاد الكتاب الألمان ، وقد أُتيح له زيارتها مجدداً وللمرة الثانية مع زميله الكاتب « فيرد من شرايتر » خلال النصف الثاني من ايلول الماضي ١٩٨٣ ، وباللغة الانكليزية كان لي معه هذا الحوار في مقر اتحاد الكتاب العرب بحماة خلال زيارته الاخيرة . .

★★★

أ -قدم نفسك إلى القراء العرب :

اسمي « وولفغانغ هيلد » من جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، أبلغ الثالثة والخمسين من العمر ، متزوج ولي بنتان وصبي ، كاتب روائي للصغار

والكبار ، أشغل حالياً منصب رئيس فرع اتحاد الكتاب الألمان في مدينة « إيرفورت » بالاضافة إلى أنني عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب الألمان ببرلين ، صدر لي حتى الآن (٢٥) رواية منها (١٥) للصغار .

٢ -بصفتك واحداً من أشهر الكتاب الروائيين في جمهورية ألمانيا الديمقراطية . . . ماهي أهم الموضوعات التي تعالجها

في أعمالك الأدبية سواء ماكان منها موجهاً للصغار أو للكبار . . ؟

الواقع إن أهم الموضوعات التي أعالجها في كتاباتي هي الموضوعات الأجتماعية ، ففي رواياتي الموجهة للأطفال أعالج على سبيل المثال [علاقة المعلم بالطفل] وكذلك [مشاكل الأطفال الذاتية حسبما يعيشونها] ، أما بالنسبة للكبار فهناك موضوعات الساحة المطروحة محلياً وأوربياً وعالمياً ، وفي طليعتها محاربة انتشار أسلحة التدمير الشامل واحتمال استحدامها في حروب المستقبل ، وكذلك محاربة تلوث البيئة ، ثم الدعوة للسلام والأمن الدوليين ، والانتصار للحق والعدل أينما كان . . وبخاصة الحق العربي في فلسطين .

ومن أجل ذلك فنحن نقيم عندنا في ألمانيا الديمقراطية أمسيات ثقافية مخصصة لقراءة بعض أعمال الأدباء حول أهم موضوعات الساعة تلك ، وبخاصة ماكان منهامتعلقا ب [محاربة استخدام أسلحة التدمير الشامل ونشر الصواريخ النووية في أوربا] ، ثم نناقش الآراء المطروحة حول تلك القضايا المعاصرة والملحة ، ويطلق على هذه اللقاءات اسم [اللقاءات من أجل السلام] إذ يشارك فيها الأدباء كافة ، ويتفقون جميعاً على مايناقش ويرد فيها من آراء حول منع استخدام أسلحة التدمير الشامل في حروب

المستقبل ، واحلال السلام بين الأمم والشعوب ، وهذه هي اللقاءات الوحيدة التي تجتمع فيها كلمة الكتاب عندنا على رأي واحد ، على عكس ما هو معروف ومألوف بينهم في المناقشات الاخرى ، عند الحديث عن أي موضوع اخر . . أو عن أي جنس من أجناس الأدب . . أو قضية من القضايا الفنية .

٣ - من أين تستقي موضوعات كتاباتك الروائية . . وما هو أسلوبك المفضل في الكتابة . . ؟

إنني أستقي موضوعات كتاباتي الروائيةمن الأحداث والحقائق التاريخية حينا . . حيث أسقطها على الواقع الحيّ الذي يعيشه الناس بغية النفاد من خلال دلك الاسقاط الى رؤية واضحه للأشياء ، ومن الأحداث **الواقعية اليومية الراهنة أو المتوقعة الحدوث في المستقبل أحياناً أخرى .**

أما أسلوبي المفضل في كتاباتي الروائية ، وهو الشطر الثاني من السؤال ، فأنا أتبنى مدسة [الواقعية الاشتراكية] ولكن ليس بمعناها الضيق ، وإنما بمعناها الواسع الذي يزاوج بفنية واضحة المعالم واللمسات بين ايجابيات كل من المدرسة الرومانسية الجمالية والمدرسة الرمزية المعتدلة على حد سواء .

إنني مع الكتابات الواضحة التي تجمع بين الجودة الفنية والهدف أو القيمة الاجتماعية ، وهذا مايحقق المعادلة الصحيحة للأدب ويوظفه إيجابيا

لتحسين الحياة وخدمة الناس، وبالتالي تحقيق المهمة الملقاة على عاتقه ، ذلك أن للأدب ، أيّاً كان جنسه وانتماؤ ه ، مهمة اجتماعية يجب أن يعيها الكاتب وبالتالي فان مايكتبه يجب أن يكون مفهوماً من قبل الجمهور ليتمثَّلَهُ ، وإلا أضاع الأدب - إن كان غارقاً في التعتيم والرمز - أهم مهماته ، وأضاع معه بالتالي الجمهور ، إننا نكتب للإنسان الألماني بخاصة والإنسان الكوني بعامة ولا نكتب لقراء أو مخلوقات من كوكب آخر .

٤ - قلت إنك تلتزم الواقعية الاشتراكية مدرسة فنية لكتاباتك . . ترى ما هي برأيك مهمة الأديب الاشتراكي . . ؟

في رأيي أن هناك مهمتين رئيسيتين للأديب الاشتراكي تتلخصان بالآتي :

١ - يجب ان يحارب بصوته .

٢ - أن ينتج أدبا فاعلا

وهو من حلال محاربته بصوته وإنتاجه للأدب الفاعل يجب ألا يطلب تركه سنوات عديدة لتحقيق ذلك وكتابه رواية على سبيل المثال ، فعامل الزمن مهم جدا بالنسبة لنا ، وعلى الكاتب الاشتراكي ألا يتخلى عن الأحداث اليومية ، بل عليه أن يتفاعل معها ويعيها ويتمثلها . . ثم يصبها في جنسه الأدبي . . وبعد ذلك يخرجها للمجتمع والناس . من هذا المنطلق . . منطلق دور الأديب في المجتمع . . تتوضح المهمة الحقيقية للكاتب والأديب الاشتراكي المعاصر . . تلك المهمة التي تتطلب منه عملاً كبيراً ومتواصلا وشاقا حتى يصل الى الشهرة الواسعة التي يسعى اليها . ثمة مهمة رئيسية

ثالثـة تقـع على عاتق الكـاتب الاشتراكي تتجلى في أن يكون الأديب ملتزماً التـزامـاً طوعيـاً نابعـاً عن الـذات بالمبادىء الاجتماعية ، ومرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقضـايـا الشعب ، ومتبنيـاً الأفكـار الاشـتراكيـة . . ولكن هذا لايعني منـع الكتاب الآخرين المتطورين والبعيدين عن الفكر البرجوازي من الكتابة لأنهم لايسـيرون في فلكنـا ، بل على العكس فإن حريـة الكتابة هذه هيَّأتْ مناخاً أوسع وجماهير أكثر للقراءة والقُراَّء ، وجعلت بالتالي من بلدنا [بلد قراء] إن صح هذا التعبـير ، لذلـك فإن الكتب تنفـذ من مكتبـاتنـا بسـرعة عجيبة ، ويمكن القول إن هناك سوقاً سوداء للكتب عندنا .

٥ - كيف يتم اكتشاف الأديب في ألمانيا الديمقراطية ؟

هنـاك محاولات لاكتشـاف الأديب بوقت مبكـر جدا عنـدنـا ، وتلعب منظمـة الشبيبـة دوراً كبيراً وهاماً في هذا المجال من خلال تقليد سنوي تقيمه تلك المنظمـة ، حيث تُنظِّمُ لقـاءً ثقـافيـاً أدبيـاً كل عام يشـارك فيـه حوالي (١٠٠) من أفضل الكتاب الشباب من الجنسين الذين تتراوح أعمارهم بين [١٥ - ٢٠] سنة ، ويقدم هؤلاء الكتاب الشباب نتاجاتهم الأدبية من شعر وقصـة ومسـرح ورواية خلال ذلك اللقاء ، وبعدها يتم تقييم تلك النتاجات من قبل أدباء كبار يحضرون ذلك المهرجان ويلتقون من خلاله بأولئك الأدباء الشبـاب ويقـدمـون لهم النصح والتوجيه اللازمين ، والملاحظات البناءة التي تقودهم نحو الأفضل والأكمل . كما يقوم اتحاد نقابات العمال عندنا بدور مماثل لدور منظمـة الشبيبـة من أجـل اكتشـاف الأدبـاء بوقت مبكـر ، حيث يُقيم لقاءات ومهرجانات ثقافية أيضاً ، يتم من خلالها اكتشاف الموهوبين .

وهنـاك مجال ثالث لاكتشاف الأدبـاء بشكـل مبكـر ويتمثـل في المـراكـز الثقـافيـة في المحـافظـات ، حيث يُقدِّم كل واحد من هؤلاء الكتاب الشباب

المخطوطة التي كتبها ، ثم تقوم لجنة من الكتاب الكبار بمهمة تقييم الموهوبين . والمجال الرابع والأخير الذي يؤدي الى اكتشاف المواهب الشابة هو النشر في الصحف والدوريات على الصفحات المخصصة لأدب الشباب .

وهنا لابد من الإشارة إلى أنه يجري في كل محافظة ، وبعد اكتشاف المواهب الشابة ، نشر نتاج وأعمال البارزين منهم ، وعند ذلك .. أي بعد النشر . يتبناهم اتحاد الكتاب عندنا ويضعهم تحت إشرافه من [١ - ٥] سنوات بعد طباعة عملهم الأدبي ، حيث يكونون والحالة هذه مرشحين لعضويته ، فمن يكون منهم نشيطاً خلال تلك المدة أو بعضها ، ويتابع الكتابة ، فإنه يُقبل عضواً في اتحاد الكتاب ، ومن يتراجع فنياً بعد طباعة كتابة الأول ، أو يتقاعس عن الكتابة لايُقبل .

ثمة ملاحظة أخرى في هذا المجال ... مجال الطباعة للشباب .. وهي أن قضية النشر عندنا مرتبطة إلى حد ما بدور النشر المشغولة دائماً وأبداً ، والتي تعاني من قلة الورق ، لذلك فإننا - وهذه الحقيقة لايختلف فيها اثنان - لانطبع إلا العمل الأدبي الجيد ، ومتى صدر الكتاب فهذا يعني أنه جيد .

٦ - ما هي أهم المنطلقات او المرتكزات التي تعتمد عليها سياسة الأدب عندكم .. ؟

سياسة الأدب في ألمانيا الديمقراطية تعتمد على مرتكزات رئيسية أربعة هي :

١ - العنايـة بالـتراث الكـلاسيكي للأمة ورعايته وتعريف الشعب به ، وقد أخذت الحكومة على عاتقها ذلك منذ إنساء الدولة ، ذلك أن الأمة التي تتنكر لماضيها وتراثها تكون كالشجرة التي فقدت الجذور ، وبالتالي يسهل اقتلاعها وضيـاعهـا إن الـتراث شيء مقـدس بالنسبـة لنا ، وأعتقد أن معظم شعوب العـالم إن لم أقـل كافتهـا ، تشـاركنـا هذا الرأي وتحافظ على تراثها وتنظر إليه بأهميـة بالغـة ، لأنـه مصـدر فخـر واعتـزاز و« ينقـل لنـا المشاعر الإنسانية في الماضي » . إننا نُقدِّر التراث ونحترمه ونُجِلُّهُ ونعتبره المنطلق الرئيسي لمعالجة العـديـد من القضـايـا المعاصرة ولكن بوجهات نظر جديدة ورؤى مختلفة عن الماضي ، إننا لانعتبره عالة على ثقافتنا الحديثة وفكرنا المعاصر ، وإنما نعتبره ثروة هائلة ومعينـا لاينضب ، فالأمـة التي ليس لها تراث ليس لها بالتـالي هوية حضارية تعتز بها أو تستلهمها خلال رحلتها الحياتية المعاصرة .

٢ - دعم وتشجيـع الأدب التقـدمي الإنسـاني المناهض للفاشية ، والذي كان ممنوعاً أيام « هتلر » والنازية .

٣ - العمـل على جعـل التقـاليـد الإنسـانيـة والتقدمية في الأدب العالمي شعبية في بلدنا .

٤ - الـتشجيـع على تطـويـر أدب اشـتراكي قومي في ألمـانيـا الـديمـوقـراطيـة ، يعبر عن هموم المـرحلة ، ويشكـل أحد روافد الأدب الانساني .

الاولى : نشر الفكر الواعي لبناء المجتمع الجديد وإزالة وتصفية البقايا والأثـار النـازيـة ، وقـد اتصف الأدب في تلك المـرحلة

« بالـدعـائيـة والـدراسيـة والحـماسية » وهذا ماحدَّد وحجمَ الأدب وضيَّق أفقـه تجاه العـوامل والمؤثرات الخارجية ، وقد حدث نقاش حاد حول « الشكلانية » خلال تلك المرحلة ، حيث أُعطيت في نهايـة المطـاف أولية مطلقة للبطل الايجابي في الأدب .

ومـع توطيـد [الـواقعيـة الاشـتراكيـة والتحـويـل الاشتراكي].أصبح مجال الادب أوسع من ذلك .

الثانيـة : وقـد بدأت هذه المرحلة في منتصف السبعينات مع انعقاد المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي الموحد ، حيث قرر توسيع الأدب والفن ومجـالاتهـما ، وقـد صدر وقتها بيان يقول : إنه لايـوجـد أي شيء ممنـوع أمـام الأدب ، وبـذلك تم تحقيق حرية الأديب فيما يكتب ، حيث أصبحت الكتابة حول كل المـوضوعات مباحة في هذه المرحلة باستثناء تمجيد العنصرية أو الحـروب العـدوانيـة أو العنف أو الـلاأخـلاقيـة المتمثلة بالدعوة الى الرذيلة .

٧ - ما هي أهم القضـايـا الفنيـة التي طُرحت وتطرح على الساحة الأدبية مؤخراً في ألمانيا الديموقراطية ؟

الـواقـع يشـير الى أن القضـايـا الفنيـة التي طرحت أو تطـرح حاليـاً عنـدنـا . . كانت متنـوعـة من حيث الكيف وكثيرة من حيث الكم ، ولعل

أبرزها هو الحوار الذي جرى ، مؤخراً بين الأدباء حول القيمة الفنية والفكرية المتوجدة على الساحة ، ونوع الجنس الأدبي الذي يستطيع تحقيقها أكثر من غيره ، ولم يكن الهدف من ذلك الحوار الدعاية لجنس دون آخر ، أو اكتشاف شعبيته فقط ، وإنما لتحديد كمية الطبعة قياساً الى شعبية ذلك الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الكاتب ، حيث تحظى الكتابات الروائية عندنا بالمقام الأول يليها أدب الأطفال ، فالكتابات المسرحية ، فالقصة ، فالشعر ، فالنقد الأدبي الذي يكاد يكون غائباً عن الساح غياباً حقيقياً . وهناك حوار ثانٍ أيضاً جرى حول حقيقة الاستثارة الفكرية لدى المواطن ومدى تجاوبه ورد فعله تجاه نوعية الأدب ، بسبب نقصان الجهد العضلي المبذول من الانسان الألماني على حساب الجهد العقلي والفكري الذي بدأ يتصاعد بشكل واضح من جراء استخدام الأجهزة الالكترونية المعقدة التي تتطلب من الفرد اهتماماً فكرياً بالغاً وتركيزاً عقلياً كبيراً ، وهذا ماجعله يحتاج إلى أنواع من الأدب والكتابة تخفف عنه جهده العقلي وتمتص تعبه الفكري وهكذا راح ينمو تيار جديد يدعو لتوظيف الأدب للإمتاع والاستفادة منه في هذا المجال . . مجال امتصاص الجهد والتعب والتوتر التي تُخلِّفُها الآلات الميكانيكية العصرية المعقدة ، كما راح هذا التيار يناقش بشكل حاد وساخن الواسطة المفضلة التي تحقق ذلك . . وهل هي الكتابات المقرؤة عن طريق الكتب ، أم المسموعة عن طريق الإذاعة ، أم المرئية عن طريق التلفاز . . ؟

ثمة قضية فنية أدبية ثالثة مطروحة حالياً على الساحة الأدبية . . يتفق عليها جميع الكتاب ونعاني منها . . وهي النقص الواضح في [النقد

الأدبي] ، ذلـك أن معظم الكتابـات النقـدية تبتعد عن الموضوعية وتكون مادحـة في معظم الأحيـان ، وجميـع القراء عندنا يدركون ذلك ويرون أن مثل هذا النقـد لايشجـع على ازدهـار الأدب بأجنـاسه كافة ، ولكن مالعمل . . والجميع يدرك أيضا - وبشكل واضح - صعوبة أو قلْ استحالة اتفاق الكتاب على أمـر واحـد او وجهـة نظر واحدة . . . ! ذلك أنه كلما اجتمع خمسة كتابٍ عنـدنـا وتنـاقشـوا في قضيـة أدبية أو موضوع ثقافي ، فإن هذا النقاش يُفرز في نهايتـه ثمانيـة آراء مختلفـة ومتضـاربـة بدلاً من خمسـة ، وليس هذا من باب المزاح . . ولكنـه عين الحق والحقيقـة ، وأعتقد أن ذلك - أي صعوبة اتفاق الكتّـاب على أمـر واحـد - له دور واضـح السلبيـة في غيـاب النقـد الأدبي البنـاء . . الهـادف والجيـد عنـدنا . . والذي يعطي في نهاية المطاف ما لقيصر لقيصـر ومـا لله لله ، بالاضـافـة إلى أنـه يشكل صعوبة بالغة وإحراجاً كبيراً للناقد ومهمته الأساسية في فرز النتاج الأدبي والعمل على تقييمه موضوعياً .

٨ - ما هي أمنيتك في الحياة . . وهل ثمة كلمة أخيرة تحب ان تختتم بها هذا اللقاء . . ؟

لقـد تغـيرت الأفكار والمفاهيم عندنا كثيراً بعد الحرب العالمية الثانية ، وبالتالي أصبح من الواجب التفكير بطرق جديدة ، حسب المعطيات الجديدة التي قدَّمتها وأفرزتها فترة مابعد الحرب وحتى الآن . لذلك فإن أمنيتي الكونية هي أن أرى السـلام يعم الإنسـانيـة بشكـل دائم ، وأن تُحلَّ مشـاكـل العالم

بشكل عادل ، وخاصة القضية العربية الفلسطينية التي هي بمثابة مركز الثقل بالنسبة لقضايا الشرق الاوسط كافة .

وأما أمنيتي الشخصية فهي كما قال شاعرنا الأكبر « غوته » ذات يوم :

طويل وشاق درب الفن والعطاء . . وقصيرة جداً هي الحياة . . فهل يكون بإمكاني وسط هذا الدرب الطويل والشاق . . ووسط هذه الحياة البالغة القِصر . . أن أقدمماينفع الناس والوطن . . ومايمكث ويخلُد في الأرض والكون . . لكم أتمنى ذلك . . ولا أكف عن محاولة القيام به . . !

وأخيرا وليس آخراً أتمنى ألا يكون هذا اللقاء هو الأخير بيننا . . بحيث نلتقي ثانية سواء في بلدنا التي تحبون . . أو في بلدكم الذي نحب . . !

CONTENTS

AL-ÁDÁB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

No. 37, Vol 10 (Autumn 1983)

Arab Writers Union — Damascus, Syria

AL-ÁDÁB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly) - Arab Writers Union - Damascus - SYRIA

منشورات اتحاد الكتاب العرب

العدد القادم

عدد خاصّ بالأدب الأفريقيّ

السعر ١٠ ليرات سورية

وفي البلاد العربية ١٥ ل.س او ما يعادلها

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

دمشق - ١٩٨٣